جورج فيل

الْجَرِيَدة

ترجمه وتلخيص

أدجار موصلي

حسن سَلومه

تقديم ومراجعة

د. محمود أبو الليل

الكتاب: الـجَرِيَدة

الكاتب: جورج فيل

ترجمه وتلخيص: أدجار موصلي ، حسن سَلومه

مراجعة: د، محمود أبو الليل

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

فيل ، جورج

الـجَرِيَدة / جورج فيل ، ترجمه وتلخيص : أدجار موصلي ،حسن سَلومه ، مراجعة: د، محمود أبو الليل – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٦٦ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ٩ – ٠١ – ٦٨١٨– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٠١٢ / ٢٠٢٠

الْجَرِيدة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

هذه ترجمه كتاب

LE JOURNAL

Par

GEORGES WEILL

FRANCE.

جورج فيل

حاول المترجمان الحصول على نبذة تاريخية عن حياة الأستاذ جورِج فيل مؤلف الكتاب، واتصلا في هذا الشأن، بجامعة كاين بفرنسا، فأجابتهما بأن الطائرات الألمانية دمرت هذه الجامعة أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩_١٩٤٥) وقد ترتب على ذلك فقد جميع محفوظات الجامعة وضياع كل أثر يتعلق بحياة المؤلف.

وكتب المترجمان مرة أخرى لوزارة التربية والتعليم الفرنسية للحصول على تاريخ حياة المؤلف ... فردت الوزارة بأنه ليس لديها معلومات عنه.

وكل ما يعرف عن الأستاذ جورج فيل أنه أشتهر بتأليف هذا الكتاب القيم عن تاريخ الصحافة في العالم،ويعتبر من أهم مراجعها.

مُقـدّمة

الصحافة والتاريخ

من الجائز أن نقول أن تاريخ الصحافة... هو تاريخ البشرية. فقد كانت الصحافة موجودة منذ وجد الإنسان، ثم تطورت مع تطور الحضارة، لأنها تعبر عن آراء الإنسان وأفكاره خلال مختلف العصور.

لقد نشأت الصحافة أو ما نشأت سماعية... ثم كتبت باللغة الهيروغليفية كما ثبت ذلك من أوراق البردي. ودار الزمن دورته مع تطور المدنية، وصار لها المركز الأول في فن الطباعة، وهذا هو تاريخ (الجريدة) في مراحلها المختلفة.

ولكي ندرك أهمية الجريدة، علينا أن نعود إلى نشأتها الأولى... وإلى الدور السامي الذي لعبه مخترعو الكتابة في تسجيل تاريخ الإنسان وأفكاره وخواطره.

لقد خلقت الكتابة أفكارا حية، زادت المطبعة من قدرها وكمها، وتولت الصحافة إذاعتها ونشرها، وجعلتها خالدة أبدية. وهنا تغلب الفكر على الزمن، والمسافات، والموت، بفضل الكتابة .. والكتب .. والصحف.

ومن الأهمية بمكان، أن نميط اللثام عن نشأة الفكر البشرى، ونعود إلى التاريخ الذي بدأ فيه تجسيم هذا الفكر، وصيرورته مادة محسوسة،

ملموسة،محفوظة بين دفات الكتب والمؤلفات وفي متناول كل يد، في كل عصر وأوان.

وينبغي أن نعرف،أن أكثر من مؤرخ حاول كتابة تاريخ الصحافة... ومن هؤلاء المؤرخين،مؤلف هذا الكتاب "الأستاذ جورج فيل" الذي كان أستاذا لمادة الصحافة بجامعة كاين بفرنسا....

وكل مؤرخ للصحافة من مختلف الأمم والجنسيات،حاول أن يؤرخها من وجهة نظره القومية مغناطيسيا من تاريخها وتطوراتها في الدول الأخرى.

أما جورج فيل فقد خرج على ما أتبعه مؤرخو الصحافة ممن سبقوه وعاصروه فأخرج لنا كتاباً كاملاً شاملا،لتاريخها في كافة الدول والأمم، الغربية منها والشرقية. وقد بذل في ذلك كثيرا من الجهد، وحاول أن يكون دقيقا كل الدقة فيما أدلى به من معلومات وأفكار. وعرف كيف يزاوج بين تاريخ الصحافة والتطور الآلي، ورسم لنا صورة كاملة، تضمنت كل مرحلة من مراحل نمو الصحافة، والصعاب التي صادفتها خلال السنين، منذ نشأتها حتى يومنا هذا. وبالإضافة إلى ذلك، فقد عنى الأستاذ جورج فيل بجمع الإحصائيات الدقيقة عن كافة الصحف في العالم.

غير أننا لاحظنا بعض النقص فيما سماه تاريخ الصحافة الإسلامية، إلا أن هذا النقص ثم يشوه من جمال البحث أو يقلل من قيمته.

ولم تقتصر دراسة جورج فيل للصحافة على نواحيها الفنية، بل عالجها من نواحيها المالية والاجتماعية ودراسة تلك النواحي من الأهمية

بمكان لكل راغب في فهم أسرار هذه المهنة وعوامل نجاحها وازدهارها أو فشلها وتلاشيها.

وأثبت لنا المؤلف بالأسانيد القوية، أنه لكي تعيش الصحافة، وتؤدي مهمتها وواجباتها المقدسة على أكمل وجه ...

يجب أن تتمتع بحرية مطلقة في حدود القوانين والنظم القومية ... وبرهن لنا في أكثر من موضع، على أنه حيث وجدت الصحافة الحرة ... وجدت الدولة المتحضرة، التي ساهمت الصحافة بنصيب كبير في بناء صرحها، ورفاهية شعبها، وحمت كيانها ووحدتها، وبفضل الصحافة الحرة نالت كثير من الدول، حريتها واستقلالها، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية.

إننا لا نستطيع التفرقة بين الخير والشر في الصحافة، وكما تستخدم الصحف أداة للخير .. نستطيع كذلك استخدامها أداه للشر. وقد نجح جورج فيل في أن يصور لنا الصحافة من وجهها الذي عمل على إسعاد البشرية وتقدمها.

محمود نجيب أبو الليل

مقدمه المؤلف

حاول كثيرون الكشف عن نشأة الصحافة ... ففي سنة ١٨٣٨نشر جوزيف فيكتور لو كلير،كتاباً بعنوان (الصحف عند الرومان). ولن أتناول في كتابي هذا تاريخ الصحافة منذ نشأتها بل سأعالج الموضوع منذ أن اخترعت المطبعة التي كانت العنصر الأول في إصدار الصحف. وقد أنقضى بعض الوقت قبل أن تتولى المطابع إصدارها. وقبل اختراع المطبعة وجد (الخبر) المنسوخ، وبعد اختراعها ظهر (الخبر) المطبوع. فهل تسمى (الخبر) المطبوع جريدة؟ لقد سمى (الخبر) فعلاً في ألمانيا بالجريدة (زايتنج)[1]. وكانت له هناك عدة مظاهر، تشبه مظاهر صحفنا الحالية، حيث كان يتضمن الأنباء والإعلان والحوادث المثيرة، ولكن كان ينقصه أهم مظهر، وهو الصدور بانتظام. وهذه الطريقة هي التي مهدت السبيل لظهور الصحف في شكلها الحالي.

وحسب المعلومات التي لدينا، ظهرت الصحف الأولى في بداية القرن السابع عشر، وكان معنى كلمة جريدة في هذا القرن يخالف معناه في أيامنا هذه. وإذا صرفنا النظر عن محاولتين أو ثلاث لإصدار صحف يومية بانتظام فإن أول صحيفة يومية ظهرت في إنجلترا عام ١٧٠٢ولم تظهر في باريس قبل عام ١٧٧٧وفي الولايات المتحدة قبل عام ١٧٨٤.

---

(1) Zeitung.

وكان معاصرو لويس الرابع عشر (ملك فرنسا) وجيوم دورانج (ملك هولندا) يكتفون بقراءة المجلات التي كانت تصدر كل أسبوع. وفى فرنسا كانت (الجازيت) الأسبوعية تعارض في إصدار (الجورنال) الشهرية.

وبعد عام ١٧٨٩صارت (لوجورنال) يومية، وانفصلت تماماً عن المجلة التي لم تكن تصدر بانتظام، بالرغم من إنها كانت تعالج نفس موضوعات الجريدة اليومية بعمق. ونشأت المجلات في إنجلترا في بداية القرن السابع عشر، وظهرت بعد ذلك في المدن الأوربية. وفي القرن السابع عشر لم تكن الصحافة غنية، ولا منوعة بحيث تسمح لنا بعمل مقارنة بينها وبين صحف اليوم، ومؤرخ الصحافة مضطر لأن يشير إلى بعض مجموعاتها ثم يتخلى عنها.

ولقد ظل البعض زمناً طويلاً يزعمون أن الصحف ليس في استطاعتها أن تمد دراسة التاريخ بما هي في حاجة إليه من مادة. وكان العلماء والأدباء لا يعنون كثيراً بهذه النشرات الهشة ولما تعرضت للفناء. ولكن بعد أن زادت رغبة العلماء و الأدباء في البحث والتقصي في القرن التاسع عشر بدأوا في الاهتمام بالنشرات التي وصفت بأنها هشة، وكتب سانت بوف أحد كتاب ونقاد فرنسا في سنة ١٨٣٩ العبارة الآتية "يجب علينا تأريخ الصحافة، ولكن هل يمكن تنفيذ هذا المشروع الخيالي الناقص!! "أنى عديم الثقة في إتمامه" .. ولم يكن هناك مبرر لمخاوف سانت بوف لأن "هاتان"في فرنسا و"بروتز"في ألمانيا بدأ فعلاً أبحائهما في تاريخ الصحافة. ولقد انقضت مدة طويلة قبل أن يدرك المؤرخون

أهمية الصحف، وهم اليوم يبحثون فيها عن الحوادث الجديدة التي وقعت حين صدورها أو الأثر الذي تركته هذه الحوادث في نفوس معاصريها. وأخيراً رأينا في ألمانيا بصفه خاصة نشأة "علم الصحافة" وأساسه البحث التاريخي. أن تاريخ الصحافة صعب ومعقد لأنه ليس في الاستطاعة عزله عن تاريخ الحضارة. وكل التطورات السياسية والفكرية والاقتصادية والفنية كان لها أثر كبير على الصحافة التي تصدر بانتظام (الدوريات). فلنناول هذا الأثر منذ نشأة الصحافة (الدورية). إن روح عصر النهضة أيقظت من فضول الإنسان لمعرفه كل شيء عن البشرية.

وساعدت الاكتشافات البحرية الكبيرة على انتشار هذا الفضول في البلاد البعيدة. وخلقت حروب القرن السادس عشر، وخاصة الحروب التركية، الوعي والخوف، وإذا كانت المطبعة هي الأداة التي ساعدت على نشر الأخبار، فإن تنظيم البريد الأسبوعي هو الذي مهد الطريق لظهور المجلات الأسبوعية. وفى القرن التاسع عشر ساعد استعمال البخار واختراع السكة الحديد على ظهور الصحف اليومية.

وكان للتطورات السياسية التي حدثت في ذلك القرن أثر لا يقل أهمية عما ذكرناه. كما كان لنمو الديمقراطية وما تبعها من تقرير التعليم الأولى المجاني أثر بالغ في سمة انتشار الصحف.

وجعلت روسيا السوفيتية من صحف (العمال والزراع) أداة لنشر المبادئ الشيوعية .

أما الكتب الموجودة حالياً عن تاريخ الصحافة، فقد تناول كل منها تاريخها في أمة معينة. ولقد حاولت أن اتبع هذا التاريخ، خلال ثلاثة قرون في أربع دول وهى ألمانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا فلم أتمكن من استخلاص نتيجة عامة، لأن تطور الصحافة في الدول الأربع كان يتشابه في بعض الأحوال ويختلف في أحوال أخرى. واستعنت بمصادر من عدة دول أخرى في وضع كتابي هذا. وأود أن يساهم هذا الكتاب في خلق روح البحث العلمي العميق الخاص المعدوم عندنا.

الجزء الأول

الجريدة في النظام القديم

الفصل الأول

نشأة الجريدة

أوجد اختراع المطبعة الأداة اللازمة التي ساعدت على إنشاء الجريدة فيما بعد، وانقضى بعض الوقت قبل صدور الجريدة. وخلال قرن من الزمان أو يزيد، ساد استعمال مطبعة جوتنبرج وخلفاؤه طبع أوراق منفصلة أو مجموعة، تتضمن الأخبار التي كانت في الحقيقة العنصر الأساسي للصحف. وكان ينقص هذه الصحف صدورها بصفة دورية. وعلى آية حال فقد سبق الخبر (المنسوخ) الخبر (المطبوع) وسبق الاثنين الخبر (الشفهي)، الذي كان موجودا في كل البلاد،وفي كل العصور.

الخبر المنسوخ

لا نستطيع تحديد تاريخ ظهور الخبر المنسوخ. ففي إنجلترا صدر مرسوم ملكي في عام١٢٧٥ضد مروجي الإشاعات، وصدر مرسوم أخر في عام ١٣٧٨ يؤكد المرسوم السابق، ثم أستخدمه المجلس المخصوص في عام ١٦٨٢ في أدانه صحفي برأه المحلفون.

وعندما ظهر الخبر المنسوخ في إنجلترا أصبح صناعة يمتهنها جماعة من المحترفين، ويبلغونه لرؤوس الأسر الكبيرة. وفي القرن الخامس عشر كانت للخبر المنسوخ أهمية أكبر في ألمانيا وإيطاليا،

وكانت إيطاليا في ذلك الحين مركزًا للحركة الفكرية والاجتماعية ومدتها الكبرى تعج بالقساوسة والنبلاء ورجال الطبقة المتوسطة الذين كانوا يتنافسون في الآداب والفنون.

ولما كانت الطبقات الثلاث مختلطة بحوادث العالم فقد رأت من الضروري لها أن تعرف هذه الحوادث، مما ساعد على خلق جماعة من تجار الأخبار كانوا يعرضونها على أصحاب النقود مقابل أجر عال. وكانت البندقية مركزاً رائجا لهذا النوع من التجارة لأنها كانت على اتصال بجميع الدول. وأنتشر بيع الأخبار في ألمانيا والبلاد الأخرى. وأقبل عليها أصحاب المصارف ومنهم آل روتشيلد في بداية القران التاسع عشر.

ولم يتمكن الخبر المطبوع من اكتساح الخبر المنسوخ وظلا متجاورين حتى القرن السادس عشر. وأحتاج تأسيس المطابع وانتشارها إلى بعض الوقت، وبعد انتشارها احتكرتها السلطات المدنية أو الدينية في عدة مدن أوروبية. وقد حافظ نساخ الأخبار على مصادر أخبارهم وعملائهم ردحاً طويلاً من الزمن. وكانت الأخبار المطبوعة في متناول الشعب لرخصها وضآلة أهميتها بالنسبة للأخبار المنسوخة، ولذلك كانت عرضة لرقابة السلطات. وكان النبلاء يفضلون عليها الأخبار المنسوخة المكتوبة لهم خاصة بأقلام أشخاص يثقون فيهم.

وتوجد في بعض المكتبات العالمية عدة مجموعات من هذه الأخبار المنسوخة، وأهمها المجموعة المحفوظة في مكتبة فينا الأهلية، وتتكون من ٢٧ مجلداً تتضمن أخبار الحوادث التي وقعدت فيما بين عام ١٥٨٨ و١٦٠٥. وتوجد مجموعة أخرى في مكتبة الفاتيكان بروما، وهي تقل أهمية

عن مجموعة فينا، إلا أنها أقدم منها،حيث تحتوي على أخبار الحوادث الهامة التي وقعت في المدة من عام١٥٥٤إلى١٥٧١.

وينبغي أن ندرك أن هذه المجموعات من الأخبار المنسوخة، كانت طلائع الصحف التي نعرفها اليوم.

ويذكر التاريخ أن الحكومات المتتابعة كانت تخشى نشر الأخبار سواء كانت منسوخة أو مطبوعة مما حدا بها إلى فرض رقابة شديدة عليها.

وكان بابوات روما ينشون حرباً شعواء ضد ناشري الأخبار. وقد حمل البابا بيوس الخامس حملة شديدة على ناسخي الأخبار، الذين كانوا ينشرون أخباراً ضد البابا نفسه والكرادلة، وانتهت الحملة بشنق الناسخ نيكولو فرانكو في عام ١٥٦٩.

ومن وسائل التعذيب التي استخدمت ضد مروجي الأخبار في هذا العهد تقييدهم بالسلاسل وشدهم بها، وإرغامهم على التجديف في السفن!

وقد سلك نفس المسلك ضد مروجي الأخبار بعض ملوك أوروبا ومنهم سيكست كنت .Sixte-quint إمبراطور اسبانيا الذي قبض على أنيبالى كابللو أحد النساخ، وأرسله إلى روما حيث قطعت يده، وأنتزع لسانه ثم شنق وعلقت فوق جثته لوحة كتب عليها (كذاب ومنافق).

الخبر المطبوع

على الرغم من نجاح الخبر المنسوخ واستمرار ظهوره فأنه كان يتراجع أمام الخبر المطبوع منافسه اللدود. وكان الانتقال من الخبر المنسوخ إلى

الخبر المطبوع تدريجياً، وكانت بعض دور النشر تصدر نشرات بأرقام مسلسلة غير منتظمة الصدور.

ولقد سايرت الأخبار المطبوعة انتشار استعمال المطبعة، ولذا يمكننا القول أن أصحاب المطابع كانوا الأصل في إصدار الصحف.

وذلك لأن دخل المطابع من نشر الكتب كان لا يكفي للحياة مما دفع أصحابها إلى التفكير في إصدار النشرات الإخبارية المطبوعة لتكون في متناول كل فرد وتدر عليهم دخلاً طيباً ... وكان شغف الشعب بمعرفة الأخبار سبباً في رواج النشرات المطبوعة. ومن هذه الأخبار الاكتشافات البحرية الحروب التركية والإيطالية التي اشتركت فيها جميع دول أوروبا، وظهور حركة "مارتن لوثر" وعصر النهضة.

ولاقى أصحاب المطابع منافسة شديدة من موزعي البريد الذين كانوا يتسلمون النشرات ويبيعونها للأمراء والنبلاء وعامة الشعب.

وكان التقاء المطبعة والبريد أساساً لبداية ظهور المصحف.

وفى القرن التاسع عشر بدأت نهضة جديدة في تاريخ الصحافة بعد ظهور المطابع الميكانيكية والسكك الحديدية.

الدوريات

لم يتناول بحثنا فيما سبق إلا المطبوعات غير المنتظمة. وقد ظهرت الدوريات أول ما ظهرت في شكل أجندات سنوية منتظمة الصدور متضمنة بعض المعلومات الفلكية "مابين عام١٤٤٨ وعام ١٤٧٠". وابتداء من سنة ١٥٩٧ طلب الإمبراطور الألماني رودولف الثاني من

بعض أصحاب المطابع إن يصدروا نشرات شهرية تتضمن أهم الحوادث التي وقعت خلال الشهر.

وفى نفس السنة حصل (جيلي) على ترخيص من غراندوق فلورنسا بإصدار نشرات تجارية أسبوعية. أما النشرات الإخبارية الأسبوعية فقد صدرت في مدينتي اوكسبورج واستراسبورج في سنة ١٦٠٩. وأكتشف العلامة أوبل الألماني في عام ١٨٧٦ بمكتبة جامعة هيدلبرج ٥٢ عدداً من دورية صدرت في عام ١٦٠٩.

وظهرت هذه النشرات الأسبوعية في بازل عام ١٦١٠ وفى فينا وفرانكفورت عام ١٦١٥وفى هامبورج عام ١٦١٦ وفى برلين عام ١٦١٧.

وفى سنة ١٦٠٥ حصل أبراهام فيرهف أحد أصحاب المطابع في أسبانيا من الارشيدوق البير والارشيدوقة ايزابلا على ترخيص خاص بنشر أخبار الحوادث التي وقعت في هذا الزمن. وجدد الترخيص في عام ١٦٢٠.

وبعد أن فقدت أسبانيا ولايتها على الجزء الشمالي من الأراضي المنخفضة (هولندا)، ذاعت شهرة أمستردام في هذا الميدان الإخباري، وفاقت زميلتها انفرس (في بلجيكا). وحدث في سنة ١٦٠٩ أن بدأ برورجين زون الملحق الصحفي السابق في جيش الإمبراطور، في إصدار مجلة كانت تظهر في يوم الجمعة من كل أسبوع.

وقد ترتب على نمو العلاقات التجارية بين هولندا وإنجلترا، انتقال الصحف الهولندية إلى الجزر البريطانية، حيث تنبه أصحاب المطابع الإنجليزية إلى الأهمية التجارية للأخبار.

وفى إنجلترا كان الملك هو الذي يرخص بإصدار النشرات الإخبارية، وكانت معظم أخبار هذه النشرات تتعلق بأمراء الأسرة المالكة وأنباء زواجهم ووفياتهم. وقد لعبت النشرات الإخبارية في إنجلترا دوراً هاماً في التأثير على الرأي العام، وخاصة عندما طلق هنري الثامن زوجته الأولى. وفي بعض الأحايين كان ملوك إنجلترا يصرحون بنشر أخبار الحوادث الخارجية، أما أخبار الحوادث المثيرة الداخلية فقد منعوا منعاً باتاً، باستثناء الحوادث المثيرة كأخبار الزلازل وظهور الأوبئة والأمراض والجرائم.

وفى عهد الملكة إليزابيث زاد اهتمام الشعب بقراءة أخبار الحوادث الخارجية وخاصة أخبار الحروب الدينية بين فرنسا والأراضي المنخفضة، وفى هذا الوقت ظهرت ترجمة الأخبار الخارجية إلى اللغة الإنجليزية.

ثم انتقلت النشرات الإخبارية الألمانية التي كانت تصدر كل ستة أشهر إلى إنجلترا، وكانت أول نشرة وصلت إنجلترا هي (ميركيريوس جاللو بلجيكوس)[٢] وكانت محررة باللغة اللاتينية وصدرت في كولونيا عام **١٥٩٤**.

وتلت هذه المحاولة قيام مطابع أمستردام بإصدار نشرات دورية باللغة الإنجليزية لبيعها في لندن ذاتها.

وأصدر توماس آرشر ونيكولا بورن في سنة **١٦٢٢** أول نشرة إخبارية دورية بالغة الإنجليزية في إنجلترا باسم "ايكارنت أوف جنرال نيوز"[٣] وكانت هذه التسمية تتغير من نشرة إلى أخرى.

---

(1) Mercurius Gallo-Belgicus

(2) A Current Of General News

الفصل الثاني

الصحافة في فرنسا في القرن السابع عشر

١ - لاجازيت

كانت الصحافة في فرنسا في القرن السابع عشر تتمتع بحرية الصدور، لكنها كانت في الوقت نفسه تخضع للرقابة الحكومية.

وتمادت الملكية الفرنسية في فرض رقابتها على الصحف إلى حد أنها أنشأت وأدارت بعضها،وبذلك ظهر أول نوع من الصحافة الحكومية وهي."جازيت"السياسية، و"جورنا لدى سافان" العلمية، و"ميركور" الأدبية الاجتماعية [٤].

وأول نشرة دورية سنوية صدرت في فرنسا هي "مير كور فرانسيه"[٥] في سنة ١٦١١. ولقد أدرك الكاردينال ريشيليو بعد استيلائه على الحكم أهمية الصحافة في التأثير على الرأي العام. ولم تكن هذه النشرة السنوية تكفي لإرضاء رغبة ريشيليو في الدعاية له .. لهذا فكر في إصدار مجلة أسبوعية باسم "جازيت"

وصدرت فعلاً في عام١٦٣١ في أربع صفحات ثم في ثماني

---

(1) Gazette, Journal des Savants & Mercure

(2) Mercure Francalse

صفحات تنتشر الأخبار الخارجية والمحلية.

ولم يكتف الكاردينال ريشيليو بإصدار "جازيت" الأسبوعية بل كان يصدر ملاحق لها من حين إلى آخر ... وفي آخر السنة كان يجمع كافة النشرات وملاحقها ويضعها في مجلد واحد يهديه إلى الملك ... وكان الملك والكاردينال يكتبان مقالات تنتشر في "جازيت".

وبمضي الزمن منحت بعض المطابع حق طبع "جازيت" الباريسية في تولوز وجرينوبل وغيرهما من المدن الفرنسية الكبرى.

ولما كانت "جازيت" تعتبر لسان حال الحكومة فقد فقدت شخصيتها ولونها السياسي لأنها كانت لا تنشر المناقشات والتعليقات وبذلك فقدت أهميتها كأداة للدعاية لفرنسا في الخارج.

٢ - لوجورنال دى سافان

وإذا كان ريشيليو هو الذي حمى النشرات الدورية السياسية في نشأتها فإن تلميذة كولبير هو الذي ساهم في إنشاء "لوجورنال دى سافان". وصدر أول عدد منها في سنة **١٦٦٥**، ومن هنا بدأت تسمية النشرات الإخبارية باسم "لوجورنال" وكان لاتجاهات كولبير الأدبية والفنية تأثير كبير في إصدار هذه الصحيفة التي كان لا مناص من إصدارها إرضاء لرغبات الشعب الفرنسي الأدبية.

وشاءت الصدفة المحضة أن تصدر الجمعية الملكية بلندن في سنة

١٦٦٦ مجلة سميت باسم "فيلوزو فيكال ترانسا كشانز"[٦]

وكان لها طابع علمي كزميلتها الفرنسية.

وفي سنة ١٦٨٠ ظهرت مجلات علمية حرة في هولندا دخلت في منافسة مع المجلة الفرنسية.

٣ - لومير كور

نشأت الصحف الصغيرة في عهد لويس الرابع عشر، وكانت تنشر شعراً غزلياً تافهاً، وأطلق على هذه الصحف أسم (لاموز ايستوريك) وهو اسم أحد إلهة الإغريق القدماء. ومنذ سنة ١٦٧٢ بدأت صحيفة "مير كور جالان" تصدر عدداً شهرياً في ٢٠٠ صفحة على الأقل يتضمن أخبار المجتمع الفرنسي والأخبار الأدبية، وبعض المسرحيات الصغيرة واحتفالات القبول في الأكاديمي فرانسيز.

وكانت الصحف الدورية الثلاث تصدر تحت رعاية الملك وتشجيعه مما أدى إلى ازدهارها وتقديرها خارِج فرنسا، وقضى الملك على كل منافسة لها.

---

(1) Philosophical Transactions.

الفصل الثالث

الصحف خارج فرنسا في القرن السابع عشر

١ - الثورة وإعادة الملكية في إنجلترا

رأينا فيما سبق كيف كان الشعب الإنجليزي مشوقاً لقراءة الأخبار المطبوعة مما أدى إلى صدورها بصفة دورية. ولقد حاول شارل الذي كان يحكم بلا سلطان شعبي، وضع حد لفضول الشعب .. ففي سنة١٦٣٢ انتهزت اللجنة الاستشارية للملك[٧] فرصة شكوى لسفير أسبانيا، فقررت منع صدور النشرات الإخبارية. إلا أنها عادت في سنة ١٦٣٨ فصرحت بإصدار هذه النشرات على ألا تنشر سوى الأخبار الخارجية، وفي فترات متباعدة.

وفي سنة ١٦٤١ تدخل البرلمان في الأمر، وسجل أول انتصاراته بالقضاء على اللجنة الاستشارية للملك، وإلغاء الرقابة على الصحف.

ومضت بعد ذلك سنتان تمتعت خلالها الصحافة في إنجلترا بأوسع حرية عرفها التاريخ، منذ اختراع المطبعة، وصدرت في هذه المدة نشرات إخبارية دورية لا حصر لها منها .News books

ومهما يكن من أمر الحرية التي تمتعت بها الصحافة الإنجليزية

---

(1) Chambre Etoilee

خلال عامين كاملين، فإن البرلمان الثوري، كان يخشي سيل النشرات الإخبارية التي صدرت خلالهما، مما دعا اتحاد المكتبات في لندن إلى طلب تنظيم الصحافة لوقاية مصالح أعضائه ومعاقبة المقلدين.

وهنا أصدر البرلمان (في يونيو١٦٤٣) قراراً بتنظيم الرقابة على الصحافة، وفي ظل هذه الرقابة صدرت عدة مجلات دورية. ومع ذلك فقد تعرضت الرقابة لهجوم الشاعر الإنجليزي المعروف "ميلتون" الذي وجه في سنة١٦٤٤ نداء إلى البرلمان عنوانه "خطاب من أجل تحرير الطباعة من كل قيد". ويعتبر أول دفاع مجيد صدر في العصر الحديث عن حرية الصحافة. ومن أقوال "ميلتون" المأثورة في حرية الصحافة أن قتل رجل ليس إلا قضاء على مخلوق يعقل، بينما قتل كتاب طيب هو في الحقيقة قتل العقل ذاته".

ولقد كان الكتاب يتمتعون بحرية تامة في عهد الرومان والإغريق. أما كبت الفكر في العصر الحديث فكان سببه طغيان البابوية في روما ومجمع ترنت المقدس ومحاكم التفتيش في أسبانيا. ولهذا أدرك البرلمان الإنجليزي إن واجبه تحرير الفكر لضمان ازدهار جمهورية "كرومويل".

وفي أوائل الثورة الفرنسية ترجم "ميرابو" نداء "ميلتون" وهو يطالب بتحرير الصحافة الفرنسية.

وكان من أبرز الصحفيين الذين عرفوا في عهد "كرومويل "

"مارشامونت نيدهام"[8] الذي بدأ حياته الصحفية وعمره **٢٣** سنة. وفي سنة**١٦٤٣** هاجم الصحيفة التي تنطق بلسان الملكية في أكسفورد[9]. ولكنه انحاز إلى جانب الملكية في سنة**١٦٤٧**ودافع عنها دفاع الجبابرة مما أدى إلى سجنه. وعندما أدرك زعماء برلمان كرومويل أهمية قلم نيدهام انتدبوا بعضاً منهم لمفاوضة كي ينحاز إلى جانب البرلمان، وبعد نجاح مفاوضتهم معه عين محرراً لصحيفة "ميركيريوس بوليتكوس"[10] في سنة **١٦٥٠** وظل يشغل هذه الوظيفة شبه الرسمية زهاء عشر سنوات.

وفي سنة **١٦٥٥** ألغى كرومويل الصحف الأخرى وترك الميدان لنيدهام وحده فيصحيفتي publick intelligencer and mercirius politicus. وبعد وفاة كرومويك ظهر منافسو نيدهام. ولما عادت الملكية أضطر للفرار إلى أوروبا خشية انتقام الملكيين.

وأرادت أسرة ستيوارت تنظيم الصحافة على غرار الحكومات الملكية المطلقة. فصدر في سنة**١٦٦٢** قانون نظم الترخيص بإصدار الصحف[11] وظل هذا القانون ساري المفعول حتى سنة**١٦٩٥** وتخللت هذه المدة فترات توقف العمل به. ورغبت أسرة ستيوارت في جعل نشر الأخبار السياسية من حق الملك فقط. وتطورت الفكرة حتى أنشأت أسرة ستيوارت صحيفة رسمية لتوجيه الرأي العام أسوة بأسرة البوربون في فرنسا.

---

(1) Marshamont Neeaham.

(2) Mercirius.

(3) Mercirius Politicus.

(1) Licensinv Act.

وما وافت سنة ١٦٩٣ حتى كان عدد المعارضين لقانون ١٦٦٢ الخاص بتنظيم الصحافة في إنجلترا قد تزايد وأضطر مجلس العموم إلى عدم تجديده. ولما لم يوافق مجلس اللوردات على قرار مجلس العموم، شكلت لجنة لحسم النزاع وانتهى الأمر بموافقة مجلس اللوردات على عدم تجديد القانون المذكر في سنة١٦٩٥. ولذلك تعتبر هذه السنة عاماً له خطره في تاريخ حرية الصحافة الإنجليزية.

٢ - الصحافة في ألمانيا وخارجها

كان يوجد في ألمانيا في عام ١٦١٨ عدد كبير من المطابع. وفي حرب الثلاثين أستغل المحاربون المطابع في إحاطة الشعب علماً بأنباء الحرب من وجهة نظرهم الخاصة.

وأصدرت حكومة فردريك الخامس عشر الثورية في براغ عدة نشرات باللغتين التشيكية والألمانية، لكسب الرأي العام ضد الإمبراطور، وكان جوستاف أدولف يصدر نشرات عديدة في كل بلد يحتلها. وفي عام١٦٣١ أنشأ مكتباً للبريد في ليبزج، وأصدر هذا المكتب صحيفة باللغة الألمانية. وبعد وفاة جوستاف أدولف أنشأ السويديون صحفاً كانت تصدر بلغتهم ومنها صحيفة "أوردينار بوستيتجندر"[١٢] التي تصدر بانتظام حتى يومنا هذا.

وبعد أن تم الصلح في عام ١٦٤٨ كانت الصحافة في الإمبراطورية

(2) L'Ordinar Posttijdender

الألمانية الفقيرة خاضعة لرقابة دقيقة يتولاها رجال الدين وغيرهم. وبلغ التنافس ذروته بين أصحاب المطابع للحصول على امتياز النشر ومنهم صاحب مطبعة في ليبزج كان في وسعه إصدار أول صحيفة يومية في ألمانيا في عام١٦٦٠، وهى نفس السنة التي صدرت فيها أول صحيفة يومية في إنجلترا.

وكان أمراء ألمانيا مشغوفين بقراءة الصحف والنشرات، وكانت لكل منهم صحيفته الرسمية التي يسيطر بها على الرأي العام في أمارته فقط ... لذا لم يكن لصحف الأمراء أي اتجاه أو لون خاص لأنها كان تتجنب الدخول في المناقشات والنقد.

وصدرت في ألمانيا عام ١٦٨٢ صحف أدبية على غرار (جورنال دى سافان) الفرنسية وكانت تصدر باللغة اللاتينية وأسمها: (أكتا اليرودتيورم)[١٣] وكان يقرأها المتضلعون في هذه اللغة فقط. وفي سنة ١٦٨٨ أصدر توماسيوس أحد كبار الصحفيين الألمان القدامى نشرة إخبارية شعبية.

ونشأت في إيطاليا في القرن السابع عشر إلى جوار الأخبار المنسوخة والمطبوعة المجلات الأسبوعية، التي ظهرت في فلورنسا في سنة ١٦٣٦، وفى روما سنة ١٦٤٠، وفى جنوا ١٦٤٢. وكانت حكومات الإمارات الإيطالية المختلفة تفرض ضريبة لمنح امتياز إصدار المجلة.

---

(1) Acta Eruditorun

وصدرت مجلات أخرى رسمية أو شبه رسمية في البلاد الأوروبية الأخرى كالأراضي المنخفضة الاسبانية حيث صرح في سنة ١٦٤٩ بإصدار مجلة أسبوعية عاشت أكثر من قرن من الزمان. وفي سنة ١٦٦١ أنشأ إمبراطور اسبانيا أول صحيفة في مدريد وسماها (جاشيتا)[١٤] وصرح آل هبسبرج في سنة ١٧٠٣ لأحد تجار فينا بإصدار مجلة (مير كور). كما صرح للمشرف على مطبعة البلاط الإمبراطوري بنشر الأخبار الرسمية في الصحيفة المحلية.

وفى نفس السنة أنشأ بطرس الأكبر أول مجلة روسية في موسكو.

النشرات الفرنسية في هولندا

كانت هولندا موئلا للصحافة الحرة، لأن هذه الجمهورية وصلت إلى مستوى رفيع في تجارتها وصناعتها، كما كانت تضم أمهر رجال الطباعة، الذين كانوا يصدرون جملة نشرات إخبارية سياسية باللغة الوطنية منذ سنة ١٦٠٩. ومما أعطى الصحافة الهولندية أهمية دولية صدور نشرات منها باللغة الفرنسية، ذلك أن الروح التجارية أملت هذا الاتجاه على أصحاب المطابع الذين أدركوا بسليقتهم أن عملاءهم في كل أوربا يرغبون في الاطلاع على صحف حرة غير خاضعة لأية رقابة. وكانت اللغة الفرنسية في ذلك الوقت هي لغة المجتمع الراقي في أوربا.

ومما شجع حكومة هولندا على الاستمرار في التصريح بإصدار هذه

---

(2) Jaceta.

النشرات باللغة الفرنسية بالرغم من شكاوي سفيري فرنسا وإنجلترا، هو أنها كانت لا تؤثر على عامة الشعب في الأراضي المنخفضة لجهله باللغة الفرنسية. إلا أنه حدث في سنة ١٦٧٩ أن أصدرت الحكومة الهولندية أمراً بحظر إصدار صحف باللغة الفرنسية في أراضيها واستمر هذا الحظر قائماً حتى سنة ١٦٨٦. وعلى الرغم من ذلك فان أصحاب المطابع في هولندا كانوا يهربون نشراتهم الفرنسية إلى فرنسا.

وفى سنة ١٦٨٤ أصدر بيل الفرنسي أول مجلة أدبية في هولندا وصادفت رواجاً كبيراً في فرنسا.

ومن الملاحظ أنه كلما كانت قبضة الرقابة تشتد على النشرات السياسية في هولندا كانت المجلات الأدبية تزداد ذيوعاً وانتشاراً.

الفصل الرابع

الصحافة الإنجليزية في القرن الثامن عشر

١ - الصحافة الحرة

فتح الفاء الرقاء عن الصحف الإنجليزية آفاقًا جديدة لها.. وقد صادف أن جاء الإلغاء في الوقت الذي كانت تمر فيه البلاد بأشد الأزمات السياسية وبداية تكوين الأحزاب الانجليزية الكبيرة.

... وكان حزب المحافظين وحزب العمال يتنافسان على كراسي الحكم. وفي نفس الوقت كانت مسألة وراثة العرش معلقة بين أسرتي ستيوارت وهانوفر. وكان الصحفيون الإنجليز ضحايا هذه المعارك السياسية ، إذ كانوا معرضين لأحكام الغرامة، وشد الأطراف، والضرب بالكرباج، والحبس! ولقد أدرك رؤساء الأحزاب أهمية كسب الصحفيين إلى جانبهم ومنهم من كان يوجههم لصالح حزبه في مقابل جعل من المال. وكان هناك بعض الصحفيين الذين خصصوا فنهم لرفع شأن المهنة ومنهم ديفو، واديسون وسويفت. [١٥]

أما ديفو فقد أنشأ جريدة (ريفو) Revue التي عاشت من ١٧٠٤ إلى ١٧١٣ ثم حرر جريدة باسم "ميركيتور" .Mercatore وأشتهر

[١٥] Defoe, Addison & Swift

بكتاباته المتزنة والتحقيقات الاجتماعية ونشر الأخبار المثيرة.

وفي سنة ١٧٠٩ أصدر الصحفي ستيل مجلة "تاتلر" .Tatler ثلاث مرات في الأسبوع وقد صادفت نجاحًا كبيرًا بعد أن اشترك اديسون مع ستيل في اصدارها. وفي سنة ١٧١١ أصدرًا جريدة يومية باسم "سبكتاتور" .Spectator وكان لإديسون المركز الأول فيها. وارتفع توزيع هذه الجريدة من ٣ آلاف نسخة في اليوم إلى ٢٠ ألفًا و ٣٠ ألف نسخة أحيانًا.. واستمر رواجها حتى سنة ١٧١٢.

وكانت هذه السنة من أتعس السنين في تاريخ الصحافة الإنجليزية حيث فرضت عليها "تمغة الاتساع" وقدرت هذه التمغة بواقع نصف بنس عن كل نصف صفحة مطبوعة وبنس واحد عن الصفحة الكاملة.

أما سويفت فكان زعيمًا لصحافة حزب العمال واستغل الحزب قدرته الصحفية من سنة ١٧١٠ إلى ١٧١٣. ولما سقطت حكومة العمال في سنة ١٧١٤ هوى معها نجم سويفت وانسحب من المجال السياسي نهائيًا.

٢- الكفاح ضد السلطات العامة

جرت عادة البرلمان الإنجليزي في بداية القرن الثامن عشر على عقد جلساته بصفة سرية، وتبعًا لذلك كان يمنع رجال الصحافة من حضورها. ومما لاشك فيه أن رؤساء الأحزاب كانوا يبلغون الصحف نصوص الخطب التي كانوا يرغبون في إحاطة الشعب بها للتعليق عليها.

وكانوا يحددون ما يجوز نشره من هذه الخطب. أما الصحافة فكانت ترغب في نشر كل شيء مما يدور في قاعتي البرلمان إرضاء لفضول الشعب وكسبًا للقراء. واستمرت هذه الحالة قائمة مدى نصف قرن، وكانت صحافة لندن تصر على موقفها في كشف الأسرار حتى تحوز رضاء القراء. ومما يروى في هذا الصدد أنه في سنة ١٧٢٠ نشرت الجريدة التي كان يرأسها ميست، وكان "ديفو" من محرريها مقالاً هاجمت فيه مجلس العموم، فاتخذ قرارًا بالإجماع بمعاقبة ميست وحكم عليه بالغرامة وشد أطرافه والسجن !!!

ومن أظهر الصحفيين الذين برزت أسماؤهم في هذه الفترة "ويلكيس" و"جونيوس" .Wilkes &Junius

ولقد جاءت شهرة ويلكيس نتيجة لحربه ضد الملك جورج الثالث الذي أدعى أنه من سلالة بريطانية، وليست ألمانية كأسلافه مما أكسبه روحًا شعبية. وترتب على ذلك أن استغل لورد بوت .LoardBute صديق الملك الحميم شعبية الملك فعمل على إسقاط وزارة وليام بت. William Pitt.

وفي سنة ١٧٦٢ أنشأ أصدقاء لورد بوت صحيفة عمالية باسم "بريتون" .Briton وصدر أول عدد منها في اليوم الذي تولى فيه لورد بوت زمام الحكم. وبعد أسبوع أصدر ويلكيس صحيفة معارضة باسم "نورث بريتون" .North Briton

والمعروف أن ويلكيس كان من أشد أنصار وليم بت. ولم يخش

ويلكيس أن يلمح في صحيفته المعارضة، إلى العلاقة التي كانت قائمة بين لورد بوت وأم الملك!!

وفي سنة ١٧٦٣ تخلى لورد بوت عن رياسة الوزارة وأصدر ويلكيس تحت ضغط وليام بت العدد الخامس والأربعين من جريدة "نورث بريتون". وقد تضمن هذا العدد هجومًا عنيفًا على الوزارة مما أدى إلى صدور أمر بالقبض عليه على الرغم من عضويته في مجلس العموم وسجنه أسبوعًا، ثم أفرج عنه مؤقتًا، حيث استأنف هجومه ضد أمر القبض عليه غير الشرعي لتمتعه بالحصانة البرلمانية.

وعندما اجتمع البرلمان في ١٥ نوفمبر، على الرغم من معارضة وليام بت تمكن لورد نورث من الحصول على موافقة مجلس العموم على قرار بتوجيه اللوم إلى كل من حرر العدد الخامس والأربعين من جريدة نورث بريتون، وإعطاء العدالة الحق في الأخذ بتلابيب المحرر المسئول عن هذا العدد.

وانتهى الأمر بأن فقد ويلكيس مقعده في مجلس العموم وفر إلى باريس.

وعاد ويلكيس إلى لندن في عام ١٧٦٨ بعد أن ظل في المنفى أربع سنوات، واستقبل استقبالاً حارًا ثم عين عمدة لمدينة لندن. وفي سنة ١٧٨٢ تمكن من شطب قرار البرلمان الذي نشر في الجريدة الرسمية بطرده من مجلس العموم. وكان ذلك أول انتصار لحرية الصحافة في العالم.

أما جونيوس– وهو اسم مستعار لأحد الصحفيين الإنجليز البارزين لم

يعرف صاحبه حتى اليوم – فقد كان أحد الأعداء الألداء للورد بوت. واشتهر بالخطابات المفتوحة الثمانية والثلاثين التي نشرها في المدة من ١٧٦٩ إلى ١٧٧٢ ثم اختفى.

وفي سنة ١٧٦٩ أصدر وليام وودفول– وهو من أسرة كانت تملك عدة مطابع جريدة "مورننجكرونيكلآند لندن ادفر تايزر".[١٦]ونظرًا لتمتعه بذاكرة قوية منظمة، فإنه كان ينشر مناقشات البرلمان في جريدته، كما وردت في مضبطة المجلس. ألا أن المجلسين حاولاً مرة أخرى حظر النشر. وحدث أن قبض على أحد الصحفيين لهذا السبب... غير أن ويلكيس عمدة لندن المعروف أفرج عنه في الحال. وهنا أدرك البرلمان استحالة المحافظة على سرية جلساته.. فسجلت الصحافة نصرًا جديدًا لحريتها.

ولم يسكت المعارضون لحرية الصحافة أمام انتصارها، بل لجأوا إلى وسائل اخرى لتكميمها. ومن ذلك أنهم حاولوا محاربتها من الناحية المالية. ففي سنة ١٧٢٤، زيدت ضريبة التمغة على الصحف كما زيدت مرة أخرى في سنة ١٧٥٦، ثم زيدت للمرة الثالثة في سنة ١٧٧٥. وأخيرًا اتفقت الآراء على تطبيق مبدأ لورد مانسفيلد الذي كان يقضي على المحلفين بأن يقرروا ما إذا كان الصحفي المتهم هو الذي كتب المقال أم لا؟ وعلى القضاة أن يقرروا ما إذا كان المقال يحتوي على قذف أم لا. ومنذ سنة ١٧٧٠ شرعت المحاكم الإنجليزية في تطبيق هذا المبدأ. ثم صدر في سنة ١٧٩٢ قانون جديد للمطبوعات، أعطى الضمانات الكافية لأصحاب المطابع والمؤلفين، ولكنه أبقى على حق العدالة في اتخاذالإجراءات القانونية ضد مرتكبي جرائم النشر.

---

[١٦] Morning Chronicle & London Advertiser.

٣ - الصحافة في المستعمرات البريطانية بأمريكا

في سنة ١٦٨٦ اضطر بنيامين هاريس أحد أصحاب المطابع في لندن للهجرة إلى أمريكا، بسبب مالاقاه من اضطهاد لاستقلاله في الرأي. وفي سنة ١٦٩٠ أصدر أول صحيفة إخبارية في بوسطن وسماها "بابليك أوكيرانسيز"[١٧]. ولكنه أغلقها بعد أن ألغيت الرقابة على الصحف في لندن وعاد إلى إنجلترا. وفي سنة ١٧٠٤ أصدر مدير بريد بوسطن مجلة دورية إخبارية، لكنها لم تصادف رواجاً يذكر.

وفي سنة ١٧٢٨ أصدر جيمس فرانكلين في مدينة فيلادلفيا مجلة باسم "بنسلفانيا جازيت" وفي نفس السنة أصدر زنجر الألماني الأصل صحيفة أخرى في نيويورك هاجم فيها كوزبي حاكم المدينة الذي اضطر لاعتقاله في سنة ١٧٣٤. وتولى الدفاع عنه أكبر محام في فيلادلفيا وتمكن من تبرئته من الاتهام. فكان ذلك أول انتصار لحرية الصحافة في أمريكا.

وكانت الصحافة في أمريكا في ذلك الحين تعاني أزمات شديدة وتختلف عن زميلتها في أوروبا وذلك بسبب ارتفاع نفقاتها وقدم الأخبار التي تنشرها وسوء المواصلات التي تستخدم في نقل أنبائها.

وعلى الرغم من ذلك فإن أربعاً وثلاثين صحيفة كانت تصدر بانتظام في أمريكا في عام ١٧٧٥.

وكان "توماس بين" من ذوي الآراء الحرة إذ نادى بتفضيل الجمهورية

---

[١٧] Publick Occurrences.

على الملكية وتحرير العبيد، ومنح المرأة حقوقها، والرأفة بالحيوان!!

ومن النتائج التي ترتبت على نجاح حرب الاستقلال الأمريكية إنشاء مصانع لورق الصحف وحبر الطباعة، وحروف المطبعة، والاستغناء عن استبدالها من إنجلترا. فكانت هذه أول خدمة مادية أدتها حرب الاستقلال للصحافة في أمريكا. أما من الوجهة المعنوية فقد زاد الإقبال على قراءة الصحف وبالتالي ذاع انتشارها وعندما وضعت حرب الاستقلال أوزارها كان عدد الصحف التي تصدر في أمريكا ٤٣ صحيفة أهمها "بنسلفانيا باكت" التي بدأت في الصدور يومياً منذ عام ١٧٨٤.

٤ - بدء الإعلان في الصحف

أدركت الصحف الإنجليزية ما يعود على دخل الجريدة من جراء انتشار الإعلانات فيها. ففي القرن السادس عشر أنشئت مكاتب للتبادل التجاري، وفي هذا الوقت لعبت المطبعة دوراً هاماً في نشر المعلومات التجارية. وأخذت بعض النشرات الإخبارية تنشر تواريخ سفر البواخر. أما الإعلان فقد بدا يظهر في صحف مستقلة عن الصحف الإخبارية.

وفي سنة ١٦١١ صرح جاك الأول ملك إنجلترا لاثنين من أصدقائه بإنشاء مكاتب للوساطة التجارية لتيسير التسليف والبيع والشراء.

وبرزت أهمية الإعلان في الصحف إثناء ثورة كرومويل حيث كانت النشرات المسماة "كتب الأخبار" News Books تنشر إعلانات عن الكتب الجديدة والأدوية والأشياء المفقودة أو المسروقة. وكانت هذه البدعة في الصحافة الإنجليزية موضع تندر القراء. ولما أصدر كروموبل أمره بمنع هذه

النشرات، أدرك الشعب أهمية المعلومات التجارية التي كانت تنشرها.

ويفسر لنا هذا القرار معنى المنشور الذي صدر في عام ١٦٥٧ لإحاطة الجمهور علماً بصدور مجلة أسبوعية للإعلانات فقط.

وكانت قيمة الإعلان تحدد بالنسبة لأهمية البضاعة المعلن عنها، وليس على أساس عدد الكلمات كما حدث فيما بعد. وفي ٢٦ مايو سنة ١٦٥٧ صدرت مجلة "بابليك ادفايزر" Public Adviser في ست عشرة صفحة إعلانية وبيعت ببنس واحد.

وقد ترتب على نجاح الإعلان في الصحف أن اضطرت الصحف التجارية لقبول الإعلانات التجارية مما كان سبب في ازدهارها في القرن الثامن عشر عندما اتسعت التجارة. وأدركت الصحف أن دخل الإعلان يمكنها من مواجهة أعباء التمغة الصحفية المقررة عليها وفي هذه الأثناء قام الإعلان بنصيب كبير في تحويل المجلات الأسبوعية إلى صحف يومية.

وقبل حرب الاستقلال في أمريكا لم يصادف الإعلان في هناك رواجاً يذكر نظراً لقلة عدد القراء. وجملة القول أن الصحافة الإنجليزية السكسونية كانت البادئة في إدراك أهمية الإعلانات الصحفية بالنسبة لدخلها.

أما في القارة الأوربية فقد استقل الإعلان من الصحافة.

الفصل الخامس

الصحافة في القارة الأوروبية في القرن الثامن عشر

ينبغي أن ندرك أنه كان هناك بون شاسع بين الصحافة الإنجليزية المتحررة منذ ١٦٩٥ والصحافة في القارة الأوروبية التي كانت تخضع للرقابة وإرادة الملوك.

١- الصحافة الفرنسية في فرنسا

عانت الصحافة الفرنسية الكثير من جراء سيطرة الحكومة الملكية عليها، وسيطرة الاحتكار التجاري. فكانت مجلة جازيت دي فرانس تحتكر الأخبار الأدبية والاجتماعية، وكانت جورنال دي سافان تحتكر الأخبار العلمية. وإذا كانت القوانين الفرنسية ظلت قائمة فإن أخلاق الشعب الفرنسي أخذت في التطور وأراد الناس التحرر من الوصاية التي فرضها عليهم لويس الرابع عشر.

ولم يعد الشعب يقنع بالمجلات الرسمية التي كانت تصدر وقتذاك، ولذا فكر في التخلص من هذا الاحتكار، فنشأت مجلات فرنسية جديدة بموافقة السلطات داخل فرنسا وخارجها. ومع ذلك ظلت الرقابة على الصحف الفرنسية قائمة. ولكن سلطان الدولة أخذ يضعف بمرور الزمن وازدادت سطوة الصحافة التجارية والأدبية خاصة. وقد مهدت قوة

الصحافة الأدبية وحريتها لسقوط الملكية الفرنسية. وكان للخطابات الفارسية التي كتبها مونتسكيوLes Letters Persannes والخطابات الإنجليزية التي أنشأها فولتير Les Letters Anglaises أهمية أبلغ من أهمية المجلات الدورية في التأثير على الرأي العام الفرنسي.

وكان الفلاسفة الفرنسيون في القرن الثامن عشر لا يعنون كثيراً بالصحف الرسمية لتفاهتها.

٢- الخصائص الجديدة للصحافة الفرنسية

وما أن حلت سنة ١٧١٥ حتى بدأت تنزل إلى الميدان الصحفي في فرنسا مجلات أدبية دورية. وحاول الصحفيون الفرنسيون أن يقلدوا أديسون الإنجليزي. فأصدر ماريفو في سنة ١٧٢٢ مجلة أسبوعية باسم "لوسبكتاتور فرانسيز Le SpectateurFrançais إلا أنها لم تكن تصدر بانتظام خلال العامين اللذين صدرت خلالهما.

وحاول بعد ذلك عدة محاولات لإصدار مجلات أسبوعية أدبية إلا أنه أخفق في كل محاولاته. وجاء من بعده القس بريفو، الذي أصدر مجلة "لوبور ايلوكونتر" Le Pour et Le Contre وكان يطبعها في باريس ويكتب على غلافها أنها تطبع في لندن. ويظل يصدرها بانتظام من سنة ١٧٣٣ إلى ١٧٤٠.

وأمتاز نت هذه المجلة بطابع خاص هو أنها كانت تعالج المشاكل الخارجية المختلفة وتبسطها للشعب الفرنسي. وقد شجع هذا الطابع

كتاباً آخرين على إصدار مجلات من هذا النوع.

وأول من كتب في النقد في الصحف الأدبية الأديبان الفرنسيان ديفونتينوفريرون. وكان ديفونتين عنيفاً في نقده وقد أدخل هذا العنف في "جورنال دي سافان" عندما عمل فيها مما أدهش قراءها. وفي سنة ١٧٣٥ أعلن حرباً شعواء على الفلاسفة فأثار حقد فولتير عليه. وفي سنة ١٧٤٣ ارتكب حماقة بهجومه على الأكاديمية الفرنسية، فاشتكته إلى الملك، الذي أمر بإلغاء مجلته نهائياً. وعندئذ لجأ ديفونتين إلى ما كان يلجأ إليه غيره وهو محاولة طبع صحيفة في باريس يعطيها مظهر النشر في الخارج. ولكنه لم يتمكن من متابعة نشاطه، إذ توفي في سنة ١٧٤٥، وبعد وفاته أتم تلميذه فريرون، الذي اتصف بالخبث والاتزان رسالة أستاذه، فأنشأ في سنة ١٧٥٤ مجلة "لانيهليتيرير" L, AnnéeLitteraire التي ظلت تصدر حتى سنة ١٧٧٦. ولم يفلح فريرون في تفادي عداء الفلاسفة وخاصة فولتير الذي هاجم فريرون هجوماً شديداً في شعره ومسرحياته... وصادف يوم وفاته صدور أمر تعطيل مجلته!!

وعلى الرغم من أن مجلة فريرون كانت تمتاز بطابعها الأدبي فإنها كانت تعالج المشاكل السياسية ضمناً عندما كانت تناقش آراء فلاسفة الثورة الفرنسية.

ومما يجدر ذكره أن فرنسا كانت تموج في القرن الثامن عشر بالفلاسفة والكتاب الذين شجعوا على إنشاء الصحف والمجلات الأدبية لإبداء آرائهم الثورية فيها.. كما أزكت هذه الصحف نار ثورة الشعب الأمريكي ضد الاستعمار البريطاني. ومن أهم المجلات الأدبية التي صدرت في هذا الوقت

"انال بوليتيك" Les Annales التي كان يحررها الصحفي لانجيهLinguet الذي تعرض للاضطهاد الطويل، والمجلة التي كانت تصدر باللغتين الفرنسية والإنجليزية واسمها "كوريبه دوليروب" CourrierD'Europe وكان يحررها صحفيان هما الإنجليزي سوينتون والفرنسي سير دي لاتور.

ولما ارتقى شأن الصحافة والصحفيين في فرنسا رحبت الأكاديمية الفرنسية بعضوية نفر منهم. ففي سنه ١٧٧١ انتخب الصحفي الأب أرنو عضوًا بها. وفى سنة١٧٧٥ضمت إليها الصحفي سيوار.

وفى عهد لويس السادس عشر صدرت أول جريدة يومية في فرنسا عام١٧٧٧، وهى جريدة "جورنال دوبارى" وكانت جديدة في طابعها وروحها، حافلة بشتى الأخبار والحوادث وظلت منتظمة في الصدور حتى قيام الثورة الفرنسية.

وجدير بالذكر أن الأخبار المنسوخة ظلت في فرنسا حتى القرن الثامن عشر، وكانت سوقها رائجة في الصالونات الأدبية.

أما الإعلانات فقد لعبت دورًا ضئيلًا في حياة الصحف السياسية والأدبية الفرنسية لأنه كانت هناك مجلات خاصة بها.

٣- الصحافة في ألمانيا

إذا كانت الصحافة الفرنسية أقل في المستوى من الصحافة الإنجليزية، فإنها كانت أسبق من وصيفاتها في دول أوربا الأخرى، وذلك لان الرقابة على الصحف الفرنسية كانت أخف مما هي عليه في دول الإمبراطورية

المقدسة. حيث لم تكن الطبقة الأرستقراطية في الإمبراطورية تنظر بعين الارتياح إلى تقدم الصحافة فيها.

وكانت أوسع الصحف في ذلك الوقت انتشارًا صحيفة فرانكفورتر جورنال والتي كانت تطبع ١٥٠٠ نسخة في سنة ١٦٨٠ ونظراً لضغط الأباطرة على الصحف في ألمانيا اضطر الكتاب إلى معالجة المشاكل الأخلاقية في صحفهم.

وأول مجلة من هذا النوع أصدرها صحفي إنجليزي في هامبورج سنة ١٧١٣ . وتلتها مجلات أخرى دينية وتربوية، تهزأ بالملحدين وفى سنة١٧٢٢ وافقت بلدية فرانكفورت على التصريح لصحيفة واحدة بنشر الإعلانات الخاصة عن الأشياء المفقودة والتي يعثر عليها، وكل ما يتصل بحركة البيع والشراء. وتطورت الصحيفة إلى نشر أخبار المواليد والوفيات والزواج.

ونظرا لأهمية مدينة هامبورج كميناء كبير، نجد أهميتها قد فاقت أهمية فرانكفورت، وذلك لاتصالها البحري مباشرة بإنجلترا مما جعلها في مركز يسمح لها بالحصول في سهولة على أخبار الخارج.

وقد ترتب على ذلك ذيوع الصحف في هامبورج حيث كانت تصدر ٤ مرات في الأسبوع، وتتضمن أخبارًا سياسية وأدبية والأخبار العلمية والفنية. وكانت أهم صحف هامبورج، صحيفة "مراسل هامبورج " التي كانت تنشر أخبارًا وإعلانات عديدة، وكانت أوسع الصحف الألمانية

انتشارًا، ولذا استطاعت أن تنافس الصحف الهولندية. وفى روسيا كانت الصحافة تعاني كبتًا شديدًا نتيجة لاستبداد الملوك الذين كانوا يكتفون بقراءة الصحف الأجنبية. وقد حدث في سنة١٧٢٨ أن صرح ملك روسيا بإصدار صحيفة لنشر الإعلانات تحت رعايته وإدارته في بروسيا والبلاد الأخرى!

٤- الصحافة في عهد فريدريك الثاني

بعد أن تولى فريدريك الثاني العرش خيل للشعب الألماني أن عهدًا جديدًا يوشك أن يطل على الصحافي نظرًا لاتجاه الملك إلى إلغاء الرقابة عليها. ولكن هذه الرقابة ظلت في الواقع قائمة لأنه كان حريصًا على توجيه سياستها بنفسه حتى تسبح بحمده وتمجد أعماله وتحارب أعداءه.

وأهم الحوادث الصحفية التي برزت في هذا العهد تلك الحملة الشعواء التي شنتها صحف برلين ضد صحف النمسا وخاصة بعد أن استولى فريدريك الثاني على مدينة برزلو النمساوية وعلى الرغم من كل ذلك فإن الصحافة في كل من ألمانيا والنمسا ظلت تافهة فارغة لأنها كانت خاضعة لسلطان الملوك وتخدم مصالحهم فقط.

وتغيرت الأمور في النمسا في سنة١٧٨١ عندما ألغى جوزيف الثاني الرقابة على الصحف مما أدى إلى صدور عدد كبير من الصحف الجديدة. ومن الطريف أن الصحفيين ترددوا كثيرًا في الكتابة بجرأة لأنهم ارتاعوا من الحرية الجديدة التي منحت لهم .

ولكن فشل سياسة جوزيف الثاني وقيام ثورات عديدة ضده دفعته إلى العودة إلى اتخاذ التدابير القديمة في كبت الصحافة ومنها أنه فرض ضريبة التمغة في عام١٧٨٩ وأعاد الرقابة عليها.

٥- الصحافة الأدبية في أوربا

لقد صاحب النهضة الفكرية ف ألمانيا ظهور الصحف الأدبية بجوار الصحف السياسية. إلا أن فريدريك الثاني لم يهتم بهذه النهضة اهتمامًا يذكر لأنه كان متأثرًا بثقافته الفرنسية.

ونظرًا لضيق الشعب الألماني بالصحف الأخلاقية، فقد وجد في الصحف الأدبية الجديدة متنفسًا له، فأقبل عليها مما زاد في انتشارها وازدهارها.

وإذا قمنا بجولة في أنحاء أوروبا لوجدنا أن الرقابة كانت قائمة على الصحف في كل مكان وكانت الصحف السياسية تتحاشى الدخول في أية مناقشات وتكتفي برواية الأخبار الخارجية وخاصة الحربية منها. وما حدث في فرنسا وألمانيا حدث في ايطاليا إذ راجت سوق الصحافة الأدبية فكانت ذات حيوية وطبقة خاصة من القراء.

ونظرا لان قراء الصحف الفرنسية كانوا من الطبقة المثقفة في جميع أنحاء أوروبا، فإن الرقابة عليها كانت لا تذكر. وظلت الصحف الفرنسية التي تصدر خارج فرنسا متمتعة بقيمتها التي كانت لها في القرن السابع عشر.

الجزء الثاني

الصحافة من ١٧٨٩ إلى ١٨٤٨

الفصل الأول

الصحافة الفرنسية والأوروبية من١٧٨٩ إلى١٨١٣

١- استكمال روح الصحافة في عهد الثورة

أن روح الحرية التي بثها فلاسفة القرن الثامن عشر في الشعب الفرنسي، قد مهدت الطريق للثورة. ومع التطور الفكري للشعب الفرنسي، تخلت الملكية عن ضغطها على الصحف وعن بعض امتيازاتها، ونال الشعب حريته في إبداء الرأي والكلام. وترتب على ذلك صدور عدة مجلات دورية في سنة١٧٨٨. كما طلب ميرابو من المرشحين لعضوية مجلس الأمة أن يكون أول قانون يسنونه هو القانون الذي يكفل حرية الصحافة على الإطلاق لأنها أساس الحريات الأخرى.

وقد أدرك الشعب الفرنسي الذي استعبدته الملكية طويلًا أن وسيلته الوحيدة للتعلم والنهوض من حمأة الجهل والذل هي حرية الصحافة التي حققت للشعب الأمريكي استقلاله، وللشعب الأيرلندي حريته.

وقد دفعت هذه الروح عددًا كبيرًا من الكتاب إلى إصدار مجلات دورية بدون ترخيص رسمي. وكان في طليعتهم ميرابو الذي أنشأ في سنة١٧٨٩ مجلة "أيتاجنيرو "وصدر أول عدد منها في ٥مايو من نفس السنة إلا أن مجلس الملك أصدر مرسوما بإلغاء هذه الصحافة. وكان

ذلك آخر سهم سددته الملكية الفرنسية لحرية الصحافة. لكن ميرابو لم يعترف بالهزيمة. فأصدر على الفور صحيفة يومية باسم" ليتر آسيكوميتان" التي سميت فيما بعد باسم "كوربيه دو بروفانس.

وفى ١٩ مايو سنة١٧٨٩ وافق الملك لويس السادس عشر على أن تنشر المجلات الدورية مداولات مجلس الأمة بدون تعليق. وعلى الرغم من هذا التزمت وعدم وجود قرار بإلغاء الرقابة فإن الصحف الفرنسية كانت متمتعة بحريتها.

وظلت تتمتع بهذه الحرية حتى ١٠أغسطس١٧٩٢. وفى هذه الفترة صدرت عدة صحف سياسية لتوجيه الرأي العام منها مجلة" جورنال دي ديبا ايد بديكريه" التي تصدر حتى اليوم. وكانت هذه الصحف بمثابة مرحلة انتقال بين المجلات الدورية والصحف اليومية التي شهدت حربًا عوانًا بين الوطنيين وأنصار الملكية. ومن الصحف التي كانت لسان حال للملكيين جريدة "جورنال بوليتيك ناسيونال " وأكبر كتابها ريفارول. وكانت جريدة "لوراتوردوبوبل" لسان حال الوطنيين الثوار وزعيمهم كميل دى مولان. وزادت جرأة الصحافة نظرًا لعدم وجود أية سلطة تقمعها.

وفى١٤ يوليو سنه١٧٨٩ حاولت بلدية باريس أن تضع حدًا لحرية الصحافة لكن دون جدوى. ولم تقيد حرية الصحافة الفرنسية إلا فى١٠ أغسطس سنة١٧٩٢ وذلك عندما أعلنت حكومة الثورة الحرب على أعداء الوطن وأدركت الأحزاب أنه لامناص من تقييد حرية الصحافة لمصلحة البلاد العليا. وكان الصحفي الثائر"مارا "سيد الموقف في هذا

الوقت إذ أنشأ في سنة١٧٨٩ صحيفة" بوبليسستباريزيان "التي سميت فيما بعد باسم" لامي دو بوبل" وعطلت هذه الصحيفة عقب فراره إلى لندن. ولكنها عادت إلى الظهور في سنة١٧٩٢ عقب عودة "مارا "من لندن منتصرًا بعد قيام الثورة..وبعد بضعة أسابيع اغتالته شارلوت كورداى.

ثم توالت الأحداث وجاء يوم١٠ أغسطس سنة١٧٩٢، ويعتبر هذا اليوم بداية عهد صحفي جديد. فقبل هذا التاريخ كانت الصحافة تتمتع بحرية واسعة مغتصبة، ولكن بعده اعترفت حكومة الثورة رسميًابحرية الصحافة.. وكان رجال الثورة قبل هذا التاريخ مهددين بالسجن والإعدام إلى أن جاء هذا اليوم واغتالت الجماهير الصحفي سولو .. وعندئذ أصدرت بلدية باريس أمرًا بالقبض على الصحفيين المعادين للثورة وتعطيل صحفهم.

وفى يوم ٢١ سبتمبر سنة١٧٩٢ بدأت جلسات مجلس الأمة وآلت إلى هذا المجلس السلطة التي كانت لمجلس البلدية على الصحف فاستردت الصحافة حريتها .. وتمتعت بهذه الحرية الصحف الملكية التي كانت تدافع عن لويس السادس عشر.

وعندئذ اشتعلت الحرب الصحفية بين الجيرونديين والجبليين وانتهت هذه الحرب في ٢ يونيه سنة ١٧٩٣ بإلغاء الصحف الجيروندية على الرغم من أن الحكومة التي اتخذت هذا القرار وكانت تنادى بولائها لمبادئ الثورة المستمدة من إعلان حقوق الإنسان الصادر في ٢٩ مايو سنة١٧٩٢ والمادة ١٢٢ من دستور الثورة التي تقدس حرية الصحافة.

وقد دفع عدد من الصحفيين الجيروندويين حياتهم ثمنًا لمبادئهم، وأشهرهم اندريه شنييه ومجمل القول أن الصحافة الفرنسية حتى عهد نابليون كانت تتمتع بحرية محدودة في بعض الأحيان، وبحرية وهمية أحيانًا أخرى

٢- الصحافة في عهد نابليون

حاول التاريخ أن يجعل من نابليون صحفيا لامعًا... إلا أن هذا الادعاء مبالغ فيه.

ولكن مما لاشك فيه أن نابليون كان ككل طاغية ذكى يؤمن بقوة الصحافة . وأهتم بها اهتمامًا بالغًا، وسيطر عليها بيد من حديد، ليتمكن من الفتك بكل معارضة له، وتوجيه الرأي العام حسب أرادته.

وفى سبيل تحقيق غاياته اتخذ قرارات صارمة لإخضاع الصحافة لسلطان، في عهديه، كقنصل أول ثم إمبراطور. وفى ١٧ يناير سنة١٨٠٠ صدر قرار باستمرار صدور ثلاث عشرة جريدة كانت تصدر في ذلك الوقت، وحظر إنشاء صحف جديدة ووقع أصحاب هذه الصحف ومحرروها تعهدًا كتابيًا بولائهم للدستور وبذلك رفعت عنها الرقابة. ولذا نشرت جريدة "مونيتور "في يناير ١٨٠٦ العبارة الآتية :

"لا توجد أية رقابة في فرنسا ... وحرية الصحافة هي أول انتصارات القرن التاسع عشر ... إن الإمبراطور متمسك بحرية الصحافة ".

ولكن الحقيقة كانت خلاف الواقع. فقد كان الإمبراطور يكلف وزارة البوليس أو كبير القضاة أو غيرهما بمراقبة ما تنشره الصحف، وكان هدفهم توقيع العقاب .

وأراد نابليون أن يتشبه بالملوك العظام في أن تكون له صحفه الخاصة . فصرح في ديسمبر سنة١٧٩٩ لجريدة "مونيتور" بنشر القوانين والمراسيم وظلت الجريدة متمتعة بهذا الامتياز حتى عام١٨٧٠. ولم تقتصر "مونيتور"على نشر القوانين بل تعدت ذلك إلى نشر خطوط سياسة نابليون إذ أنه كان يتولى بنفسه إدارة دفة الحرب الصحفية ضد انجلترا .

وقد ترتب على كبت الصحافة السياسية في عهد نابليون، أن ازدهرت الصحافة الأدبية كما كان عليه حالها في عهد الملوك الطغاة السابقين.

٣- الصحافة خارج فرنسا

ينبغي أن تدرك أنه كان للثورة الفرنسية أثرها الذي لا ينكر على الصحافة في كل أنحاء أوروبا.

وبعد أن غزا نابليون صحف سياسية تدافع بعنف عن حقوق الإنسان، وتطالب باستقلال ايطاليا، مما أفضى إلى ضغط نابليون عليها كما كان عليه الحال في فرنسا.

وأما في سويسرا فانه عند ظهور بوادر الثورة الفرنسية في سنة١٨٧٩ اشتدت الرقابة على الصحف ومنعت ثمان صحف من

دخول البلاد ومن بينها جريدة "مونيتور"غير أن هذا المنع لم يسبب ضيقًا للشعب السويسري لأنه لم يكن قد أدرك بعد قيمة حرية الصحافة.

وعندما اجتاح الجيش الفرنسي سويسرا في سنة١٧٩٨ وقلب نظام الحكم فيها وأنشأ الجمهورية السويسرية ظهرت الصحف بكثرة، وأخذت تدافع عن مبادئ الثورة الجديدة.

واستمرت الصحف السويسرية تتمتع بحريتها حتى عام١٨٠٣ حيث رأت. الحكومة إخضاع الأخبار الخارجية للرقابة. ثم امتدت إلى كافة الأخبار الخارجية ولم تقتصر سطوة الرقابة على صحف جنيف بل شملت الصحف في جميع مدن سويسرا التي كانت خاضعة لسلطان نابليون.

وأما في ألمانيا فقد كان للثورة الفرنسية أثرها في تحرك النخبة المفكرة مما أثار ريبة الحكومات الألمانية.

وفي سنة١٨٧٩ كان عدد الصحف الألمانية السياسية الموالية لفرنسا قد زاد زيادة ملموسة ألا أنها أخذت تتحول عن تأييدها للثورة، عندا زاد حكم الإرهاب فيها. على أن هذه الصحف جميعًا سواء كانت موالية أو معادية لفرنسا، كانت ترغب في نشر أخبارها وأخبار الحرب المنتظرة بينها وبين الأمراء الألمان. وبعد أن اجتاح نابليون ألمانيا، وأحتلها اشتدت الرقابة على صحفها وتم إخضاعها لنفس القيود التي كانت مفروضة على الصحف في فرنسا. ويلاحظ أن ضغط الحكم الفرنسي في ألمانيا، قد أفضى إلى ظهور المجلات المنسوخة ثانية،

وكانت توزع كالمنشورات. ولعبت المدن الروسية المتاخمة لألمانيا دورًا هامًا في إثارة الرأي العام ضد نابليون إذ كانت مركزًا طيبًا للنشاط الصحفي الموجه ضده.

ولم يكن حظ الصحافة في النمسا أحسن مما كان عليه في ألمانيا وسويسرا، مع فارق واحد هو أن(مترنيخ) كان يتبع نفس أساليب نابليون في الضغط على الصحف النمساوية مع إيمانه برسالتها. وكان نابليون ومترنيخ يتتبعان بانتباه وحذر ما تكتبه الصحافة الأوربية الحرة وخاصة تلك التي كانت تصدر في انجلترا.

الفصل الثاني

الصحافة الإنجليزية والمناهضة لنابليون من ١٧٨٩ إلى ١٨١٥

أشرنا من قبل إلى أن الصحف الإنجليزية قد حصلت على حريتها منذ أن صدر قانون الصحافة في عام١٧٩١. إلا أن نشوب الحرب بين انجلترا وفرنسا في عام١٧٨٣ حد من هذه الحرية على الرغم من عدم فرض الرقابة عليها. وكان ذلك هو الفارق بين النظام المعمول به في الجزر البريطانية ونظام القارة الأوربية. ولم يمانع وليم بت في تمتع الصحف الإنجليزية بحريتها طالما كانت مخصصة للطبقات الارستقراطية. ولذلك زاد في الضرائب المفروض عليها، حتى يضطرها إلى رفع أثمانها وقد أدت هذه السياسة إلى زيادة دخل خزانة الدولة من جهة، والحيلولة دون انتشار الأفكار الثورية بين طبقات العمال من جهة أخرى. ولما ارتفعت أسعار الصحف اضطر أصحابها إلى التوسع في نشر الإعلانات التجارية لتغطية نفقاتها وتمكين الجمهور من شرائها. كما اضطرت الصحف إلى تخصيص صفحتين لنشر الأخبار وصفحتين للإعلانات. وفي هذا الوقت أنشأ جون ولتر الاسكتلندي جريدة يومية سماها" ذي ديلي يونيفرسال ريجيستر " Daily universal Register وكانت جريدة مستقلة. وفي أول يناير سنة١٧٨٨ أطلق على هذه الجريدة اسمها المشهور الذي عرفت به وعرف بها، وهو" ذي تايمز " The Times.

وقد أصبحت هذه الصحيفة رائدة للصحافة الإنجليزية، وأول جريدة في العالم عينت مراسلين لها في الخارج. وكان أول مراسليها هنري كراب روبنسون في مدينة التونا المحايدة المجاورة لمدينة هامبورج عاصمة الصحافة الأوربية. وصدرت بعد ذلك صحف يومية عديدة منها المورننجكرونيكلوالمورننج بوست Morning Chronicle & Morning poat وكانت الصحف اللندنية تصدر ستة أيام في الأسبوع، وفي يوم الأحد تصدر عددًا خاصًا للترفيه.

ويقال أنه في سنة١٨١٣ منح هنري بيت لقبًا من ألقاب الشرف(بارون) وهو أول إنجليزي نال هذا اللقب نظرًا لخدماته الصحفية.

وتمتعت الصحافة الإنجليزية بأوسع معاني الحرية، حتى أعطت لنفسها الحق في نقد الوزراء وكبار رجال الدولة. وصارت الصحافة قوة لا يستهان بها في انجلترا، حتى خشيها نابليون في نفسه في فرنسا، واستعدى عليها الحكومة الإنجليزية أثناء هدنة أميان. وبعد استئناف الحرب بين انجلترا وفرنسا احتج البرلمان الإنجليزي في١٨ مايو سنة ١٨٠٣ على تدخل الحكومة الفرنسية في حرية الصحافة البريطانية.

وكان نابليون دائم الشكوى من ضعف الصحافة الفرنسية في حربها ضد صحف انجلترا. ولم يدرك أن سبب هذا الضعف يرجع إلى الأغلال التي كبل بها صحف بلاده.

١- حرب الصحافة ضد نابليون ـ جيرز في ألمانيا والملكيون في فرنسا

لجأت بعض الدول الأوروبية التي كانت في حالة حرب ضد نابليون إلى الصحافة كأحد أسلحتها في الحرب ضده.

ففي مدريد ظهرت الصحف بكثرة عندما قام الشعب ضد الدخيل، وأصبحت مدينة قادش معقلًا للمقاومة الشعبية ومركزًا للصحافة المعارضة بين يوم وليلة وعلى الرغم من تباين نزعاتها في إسبانيا سرعات ما خبت بعد زوال الاحتلال الفرنسي من إسبانيا...

أما في ألمانيا فقد أنهت معركة (ليبزج) الاحتلال الفرنسي الذي تخلى عن رقابة الصحف الألمانية للرقابة الروسية، وتبعتها رقابة الجيوش المتحالفة.

وفي هذا الجو العاصف الذي كانت تحيا فيه الصحافة الألمانية المستبعدة ظهر(جيرز) أول صحفي ألماني كبير. وقد أنشأ مجلتين دورتين هاجم فيهم صحافة العهد الماضي والاستبداد الفرنسي.

وفي سنة ١٨١٤ منحته القوات المتحالفة ضد نابليون حرية تامة في تحرير مجلة كركيررينان، فحدد في عددها الأول أهدافه التي كانت ترمى إلى توحيد ألمانيا.

وأتاح سقوط نابليون في عام١٨١٤ للملكيين فرصة للدخول في

معركة الصحافة من جديد.

ففي ١٢ أبريل كانت صحفهم تكيل الشتائم للإمبراطور المهزوم، وتمدح كرم الجيوش المتحالفة، التي حررت فرنسا من حكم نابليون.

وتمتعت الصحافة بذلك بحرية مؤقتة، ومع ذلك عادت الصحف المعطلة إلى الظهور والتحمت الصحف الملكية والصحف المناصرة لنابليون في معركة حامية الوطيس. ولم تتأثر الصحافة كثيرًا بعودة نابليون من(جزيرة البا) وظلت تتمتع بحريتها المغتصبة طوال حكم المائة يوم.

وسجل نابليون– هذا الطاغية الذي تفنن في تكبيل الصحافة وإخضاعها لسلطاته في مذكراته بعد نفيه إلى جزيرة سانت هيلانة– أنه يجب أن تتمتع الصحف بحرية تامة لا مناص منها للعالم الحديث، وعلى الحكومات أن تعتمد عليها في نشر المبادئ الطيبة والمذاهب السليمة في جميع أنحاء الإمبراطورية الفرنسية.ويتضح من رأي نابليون أنه كان يعتبر الصحافة أداة مكملة لسلطة الحاكم.

الفصل الثالث

الصحافة في أوروبا الغربية من١٨١٥ إلى ١٨٤٨

١- نهضة الصحافة البريطانية

طالب الصحفيون بعد سقوط نابليون بالحرية التي حرمهم منها هذا الطاغية البائد غير أن الحكومات حاولت الحد منها، وعندئذ اضطرت الصحف إلى استئناف المعركة ضدها، وكانت على أشدها في الدولتين الغربيتين الكبيرتين، انجلترا وفرنسا. وكان انتصارها سهلًا في انجلترا، ولكنها لقيت مقاومة شديدة في فرنسا.

وبعد أن انتصرت الحكومة الإنجليزية على العدو الخارجي في سنة١٨١٥ تحول انتباهها إلى العدو الداخلي الممثل في الحزب الراديكالي الذي كان يروج في ذلك الوقت للمبادئ الاشتراكية والشيوعية والفوضوية، ومن بين التدابير التي اتخذت لتكميم الصف البريطانية فرض تأمين للحصول على ترخيص بإصدار الصحف وجعل الحد الأدنى لثمن الصحيفة ٦بنسات. وحاولت الحكومة الإنجليزية فرض سلطانها على الصحافة أثناء الأزمة التي قامت بين الملك جورج الرابع والملكة الأم في سنة ١٨١٠، إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل. وكان من نتائج تلك الأزمة ظهور عدة صحف موالية للملك وأخرى ضده.

وفي المدة من١٨١٥ إلى١٨٤٠ كانت جريدة التيمس قد صارت أول الصحف في لندن، بفضل التحسينات الفنية التي أدخلت عليها، وسياستها المحايدة، وبفضل رئيسي تحريرها الذين أدارها بحكمة وهما بارنزBarnesمن (١٨١٧ إلى ١٨١٤) وديلينDelane (من ١٨١٤ إلى ١٨٧٧).

وكانت صحف العمال والمحافظين تشق طريقها قدمًا عند احتدام المناقشات السياسية والدفاع عن المبادئ التي تعتنقها كل منها. وحوالي سنة١٨٤٠ تمكنت الصحافة الإنجليزية من الفوز نهائيًا باستغلالها، وفتح بابها على مصراعيه لكبار الأدباء من الإنجليز، وأنشأ شارل ديكنز جريدة ديلي نيوزDaily News وبدأ المجتمع اللندني الراقي يستقبل في صالوناته بعض كبار الصحفيين الإنجليز، وكان عهد الملكة فيكتوريا بداية العصر الذهبي للصحافة في انجلترا.

٢- الصحافة الفرنسية والحكومة

لم تحظ الصحافة الفرنسية بالتقدم التي حظيت به الصحافة الإنجليزية. ولكن مما يجدر ذكره أن القيود الصحفية التي فرضتها الحكومات المتعاقبة لم تكن تنفذ بحذافيرها على صحف باريس، فتمتع بعض منها بقوة شبيهه بقوة الصحف الإنجليزية المشهورة، ولم تؤثر فيها قيود التمغة والتأمين التي أخذت عن النظام الإنجليزي، وذلك لأن نفقات الصحف كانت ضئيلة من جهة، ولأن القارئ الفرنسي كان على نقيض القارئ الإنجليزي، وكل ما كان يطلبه هو معرفة المداولات

البرلمانية ونشاط اليسوعيين والتفسيرات الدستورية.

وجدير بالذكر أن الصحافة الإنجليزية كانت صحافة خبر أولًا، ثم صحافة رأي ثانيًا. بينما كانت الصحافة الفرنسية صحافة رأي قبل كل شيء، ولذلك فرضت عليها الرقابة.

ولم تتمتع الصحف الفرنسية بحريتها التامة إلا بعد ثورة ٢٧ يوليو سنة ١٨٣٠، حيث ألغى الدستور الجديد الرقابة عليها.

٣- بداية حرية الصحافة في بلجيكا وسويسرا

لقد نالت الصحافة حريتها في بلجيكا وسويسرا دون مقاومة تذكر. وفي الدول البلجيكية الجديدة نص دستور ١٨٣١على حرية الصحافة، ونتيجة لذلك تجنبت الحكومات القضايا السياسية وتمكنت الصحافة البلجيكية من تنظيم نفسها، ورسم سياستها للمستقبل دون ضجة.

وأما في سويسرا فقد تخللت حركة تحرير الصحافة عدة عقبات، ولم تلغ الرقابة عليها إلا في سنة ١٨٢٩. وقبل هذه السنة أي في سنة١٨٢٦أنشأ جيمس فازي صحيفة" جورنال دوجنيف " وفي سنة ١٨٤٢ أنشأ صحيفة" ريفودوجنيف " la Revue de geneve وكان فازي يعالج فيهما الموضوعات بتعمق مما أتاح للراديكاليين الذين كانوا يعتمدون عليهما فرصة، لكسب الرأي العام إلى جانبهم.

الفصل الرابع

الصحافة في أوروبا الوسطى والشرقية من١٨١٥ إلى ١٨٤٨

١ - رد الفعل في أوروبا الوسطى

بعد أن تمت هزيمة نابليون في عام١٨١٤ حددت مجلة" ميركور رينان" Le MercureRhenanالدور الذي كان على الصحافة أن تلعبه في ألمانيا المتحررة، وذلك بأن تكون "لسان الشعب وأذن الأمير".

وقد تضمن اتفاق فينا الذي نظم الاتحاد الألماني لوائح العمل في الصحافة. وفي الوقت الذي كان فيه مترنيخ متربعًا على كرسي السلطة، كانت الصحافة في ألمانيا خاضعة للنظم الصحفية المعمول بها في النمسا. ولم تشذ عن هذه النظم غير مقاطعة سكن التي منحها الدوق في سنة ١٨١٦ دستورًا، تضمنت مواده نصوصًا تعطي الصحافة حرية واسعة، فظهرت في هذه المقاطعة عدة مجلات.

وأما الصحافة المستبعدة في كافة المقاطعات الألمانية، فكانت تحلم بملك يمنحها حريتها، وظنت الصحافة أن ارتقاء لويس الأول عرش بافاريا في سنة ١٨٢٥ سيحقق أمانيها، فقد أعلن الملك أن الصحافة حرة ولو أنه لم يبلغ الرقابة قطعيًا بل عطل مفعولها. وكانت نتيجة هذه الحرية نشوب معركة صحفية حامية بين الحزب الكاثوليكي البافاري

وحزب الأحرار.... ولم تتمتع الصحافة في بافاريا بحريتها طويلًا، بل سرعان ما فرض الملك الرقابة على الصحف نتيجة لثورة ١٨٣٠.

٢- عهد الرقابة

حدث في ٢٨ يونيه سنة١٨٣٢ أن أصدر مجلس الديت La Diete **وهو البرلمان الألماني ست مواد تحظر على الصحف نشر الموضوعات السياسية، وكانت تلك الخطوة ضربة قاضية على الصحافة في ألمانيا. ولم تدب الروح الصحف الألمانية إلا عن طريق الأخبار السياسية التي كان ينشرها الصحفي"كوتا"** Cotta **صديق مترنيخ، الذي كان يمده بها لنشرها في جريدته البافرية مما أوغر صحف برلين فاشتكت للديت وأمر هذا المجلس بافاريا بالتشدد نحو الصحافة والصحفيين.**

ولكي لا تظهر روسيا أمام الأمارات الألمانية الأخرى بمظهر لا يتناسب مع مركزها صرحت الصحيفتين اليوميتين فيها بنشر الأخبار الأدبية والفنية والمسرحية والاجتماعية. ولذلك أخذ عدد قرائها في الازدياد.

وجملة القول كانت صحافة جميع البلاد الخاضعة لسلطان آل همبرج سواء في المجر أو في إيطاليا... تخضع لنفس نظم الرقابة المعمول بها في النمسا.

٣- يقظة الحرية في سنة ١٨٤٠

أحست بروسيا بحركة التحرير بعد ارتقاء فردريك غليوم الرابع العرش، إذ أصدر في سنة **١٨٤١** أمر ملكيًا أعلن فيه أن الرقابة ستكون سهلة بالنسبة للصحف الروسية وشديدة بالنسبة للصحف الأجنبية، وعندئذ تجرأت صحف روسيا، فأخذت تعالج الموضوعات السياسية بحرية تامة مما اضطر الملك إلى فرض الرقابة من جديد في عام **١٨٤٣** بكل شدة.

وفي المدة من **١٨٤١** إلى **١٨٤٣** نشأت عدة صحف منها جريدة "رالينجزايتنج" التي صدرت تحت رقابة الحكومة. وفي سنة **١٨٤٢** تولى رياسة تحرير هذه الجريدة" كارل ماكس" الذي اعتبر أعظم صحفي بروسيا. ولما اشتدت حملات كارل ماركس ضد الأوتوقراطية اضطر الملك إلى إلغاء جريدته في سنة **١٨٤٣**.

وأما في النمسا فقد كانت الرقابة أشد منها في ألمانيا فكانت الصحف النمساوية تلتزم جادة الصواب مقابل الإعلانات الحكومية ولكن تيار الحرية الجارف ما ليث أن وصل إلى النمسا فاستيقظ الرأي العام.

وفي **١٢** مايو سنة **١٨٤١** قبل الديت في بوهيميا النظر في تظلم من أحدى الصحف ضد الرقابة وتبعته تظلمات أخرى الأمر الذي مهد السبيل لتحرير صحافة النمسا نهائيًا.

وبدأت حركة تحرير الصحافة في إيطاليا بعد انتخاب البابا بيوس

التاسع في سنة ١٨٤٦ الذي عرف في شبه الجزيرة الإيطالية والعالم الكاثوليكي بالبابا الحر فقد أشاع روح التحرر والبعد عن التزمت.

وشرعت الصحف تتكلم عن الوحدة الإيطالية وكفت عن التحدث عن الأمارات المستقلة. ولم تحس الصحف بالرقابة عليها لأن رقبائها كانوا من بين الأحرار.

وخلال هذا العهد صدرت عدة صحف أهمها صحيفة "ريزورجيمنتو" التي كان يديرها كانور.

وقد ظهرت الدوريات في أوروبا الشرقية على الرغم من سيادة الحكم المطلق فيها. وشهدت مملكة بولونيا عدة صحف. ومن بينها صحيفة" كوربيه دو فارسوفي" التي كافحت ضد الاستبداد، ولا يزال تصدر حتى يومنا هذا (١٩٣٤).

وفي عهد روسيا القيصرية لم تظهر صحف سياسية بل كانت هناك مجلات أدبية تمس الموضوعات السياسية مسًا ضعيفًا.

وحدثت عدة محاولات لتحرير الصحافة الروسية إلا أنها باءت بالفشل. ومما يذكر أن عدة مجلات كفت عن الصدور بمجرد ظهور العدد الأول منها!!.

وفي تركيا حاول السلطان محمود الثاني أن ينشر روح المدنية في إمبراطورية فصرح لأحد الصحفيين الفرنسيين وهو "بلاك" بإنشاء صحيفة

فرنسية في بلدة أزمير في عام١٨٢٥. ثم استدعاه في عام١٨٣١ إلى العاصمة لإدارة جريدة "مونيتورأوتومان" التي كانت تصدر بالفرنسية مصحوبة بترجمة تركية للجزء الرسمي منه (١٨٣٢). وأصدر كتاب أجانب آخرون عدة مجلات بلغاتهم الأصلية وكانت نتيجة ذلك أن شهدت القسطنطينية في سنة١٨٣٣، ثلاث عشرة مجلة أثار صدورها مخاوف الحكومة التركية ففرضت عليها نظمًا شديدة قاسية.

وأما اليونان فقد كانت البلد الشرقي الوحيد الذي ظهرت فيه الصحافة من تلقاء نفسها. وعلى الرغم من أن عدد سكان أثينا كان ٣٠ ألف نسمة، كانت تصدر فيها في عام ١٨٣٧ سبع صحف يومية سياسية وست مجلات أدبية تتمتع جميعها بحرية صحفية تامة.

ومجمل القول أن جزءًا كبيرًا من أوروبا فيما عدا اليونان كان خاضعًا للرقابة الوقائية مما جعل تقدم الصحافة السياسية أمرًا عسيرًا ولكن ما لبثت الأحوال أن تطورت بعد ثورة سنة١٨٤٨.

الجزء الثالث

الصحافة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

الفصل الأول

تحول الصحافة الاقتصادي

بينما كانت الأحزاب السياسية تناقش حرية الصحافة، حدث تحول هام فيها، زاد من عدد قرائها. ويرجع سبب هذا التحول إلى أسباب فنية واقتصادية واجتماعية على السواء.

١- التقدم الفني

لم يطرأ أي تحسن على فن الطباعة خلال المائتي سنة الماضية، فلم يتغير جمع حرف الطباعة باليد، لأن كمية المطبوع من أكبر جريدة لم تكن تتجاوز ثلاثة آلاف نسخة يوميًا.

وقد عمت الاختراعات والاكتشافات في انجلترا كافة الفنون والمهن والطباعة. وأجريت عدة تجارب لتحويل عملية الجمع اليدوي إلى عملية آلية.

وبفضل "كوينج" المستوطن الألماني ظهرت في انجلترا أول مطبعة تدار بالبخار. وكانت جريدة التيمس أول صحيفة في العالم نجحت في استعمال المطبعة البخارية في عام١٨١٤، وتلتها الصحف الإنجليزية الأخرى، وكانت المطبعة الجديدة تطبع ١١٠٠ نسخة في الساعة الواحدة.

وانتقل الاختراع الجديد إلى أوروبا نفسها. وبعد بضع سنوات كانت باريس تستعمل المطابع البخارية على الرغم من مقاومة العمال لها، الذين حاولوا تحطيمها في ثورة ٢٧يوليو سنة١٨٣٠.

وثمة اختراع آخر كان معاصرًا لاختراع كوينيج وهو اكتشاف حبر الطباعة بباريس في عام١٨١٨بمعرفة "لوريللو" Lorilleuxواضطرت جميع صحف العالم إلى استعمال الحبر الجديد.

وفي سنة١٧٩١حاولت مجلة الأوبزرفر الإنجليزية نشر أخبارها مصحوبة بالرسوم اليدوية. وفي سنة١٨٤٢صدرت في لندن مجلة إنجليزية مصورة وهي"ذي ايللسترتيد لندن نيوز"، The Illustrated London News وفي ست عشرة صفحة، وبها اثنتا عشرة صورة صغيرة. وفي السنة التالية صدرت مجلة "ليللوستراسيون" Illustrationفي باريس، ومجلة "ايللوستريستيزايتنج" IllustriesteZeitung في ليبزج بألمانيا.

وقد هيأ اختراع مطبعة الحجرLitographieفي ألمانيا ثم في فرنسا مجالًا جديدًا للصحافة الدورية، فظهرت المجالات المصورة، والهزلية، والكاركاتورية، وأقبلت على قراءتها الأسر التي لم تتعود قراءة المجلات الدورية العادية. وجدير بالذكر أن اختراع السكة الحديدية ساهم مساهمة فعالة في تقدم الصحافة، حيث يسرت توزيع الصحف اليومية على أوسع نطاق. كما قدم اختراع التلغراف في أمريكا خدمات جليلة للصحافة ولو أنها لم تنتبه لأهميته في أول الأمر إلا أن جريدة مورننجكرونيكل استخدمته في سنة١٨٤٥في الحصول على أخبارها الخارجية.

وفي سنة١٨٤٧تمكنت الصحيفة عن طريق التلغراف من نقل خطاب الملكة فيكتوريا في البرلمان كاملًا لأول مرة إلى التاريخ.

٢- الصحف زهيدة الثمن بدء ظهورها في انجلترا وفرنسا

كان للتحسينات الفنية في آلات الطباعة أثر كبير في زيادة كمية المطبوع في الصحف. كما ساهم التطور السياسي في زيادة عدد قرائها، وذلك نتيجة لظهور الطبقة البورجوازية المتوسطة في الميدان السياسي منذ عام١٨٣١.

وفي الوقت الذي كان العامل لا يتمتع فيه بحقوقه السياسية... كانت الحكومات تعني به وتشجع افتتاح المدارس الابتدائية لتعليمه وهكذا هيأ الزمن للصحف قراء جددًا. ومع ذلك ظل سعر الصحيفة مرتفعًا، إذ كان الاشتراك السنوي في مجلة باريسية كبرى في سنة١٨٣٠يبلغ٨٠فرنكًا أي ما يعادل٤٠٠فرنك في سنة ١٩٣٠. وقد أدى ارتفاع أسعار الصحف في باريس والأقاليم الفرنسية، إلى إقبال الناس على المقاهي لقراءة الصحف فيها بالمجان!!.

وأما في انجلترا فكانت النسخة من الصحيفة الكبرى تباع بسبعة بنسات. ومن أجل ذلك بذلت محاولات لخفض هذا السعر المرتفع، إلا أنها لم تنجح. كما قامت محاولات برلمانية لتخفيض قيمة التمغة المفروضة على الصحف، ونجحت هذه المحاولات في عام١٨٣٣، عندما خفض البرلمان تمغة الإعلانات. وفي سنة١٨٣٥خفضت تمغة

الصحف إلى بنس واحد، لإرضاء الراديكاليين ومن ثم هبط سعر النسخة من الصحيفة الكبرى من سبعة بنسات إلى خمس بنسات. وقد ساهمت إيرادات الإعلانات في هذا التخفيض.

ونجح إميل جيراروان في فرنسا في استخدام الإعلانات كعامل من عوامل تخفيض سعر الصحف الفرنسية. وكان من برنامجه إصدار صحيفة يومية للطبقة المتوسطة حتى يزداد توزيعها فيقبل التجار على الإعلان فيها. وتنفيذًا لهذا البرنامج أصدر جريدة "لابريس" La Presse. كما أصدر "دوتاك" Dutaeq. الذي حاول الاشتراك مع "جيراروان" جريدة "Le Siecle".

وقد ساعدت هذه السياسة على انتشار الصحف الفرنسية، والتوسع في الإعلانات التي لعبت دورًا هامًا في زيادة دخل الصحف.

ولجأت بعض هذه الصحف إلى وسيلة جديدة لزيادة إيراداتها وعدد مشتركيها، فدعت كبار أدباء فرنسا مثل (فيكتور هوجو ولامارتين) للتحرير فيها.

ولم تستفد الصحف الفرنسية كثيرًا من الإعلانات كما استفادت منها الصحف الإنجليزية مما دفع شارل دو فرييه إلى إنشاء (الشركة العامة للإعلانات بباريس). واحتكرت الشركة الجديدة توزيع الإعلانات على الصحف الباريسية الأربع الكبرى. وظلت الشركة تتمتع بهذا الامتياز لمدة سنتين إلى أن أطاحت به ثورة سنة١٨٤٨.

٣-الصحافة الجديدة في الولايات المتحدة

شهدت الصحافة الأمريكية نفس التطور التي كانت تمر به الصحافة في أوربا. وحوالي سنة١٧٨٣ كانت الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية بسيطة في حجمها وتحريرها وإعلاناتها. ومع ذلك فقد احتفل الجمهور بها هناك، كي يتابع سياسة دولته الجديدة بعد الاستقلال.

وكان من السهولة بمكان أن يصدر أي مواطن أمريكي صحيفة أو مجلة، وذلك لعدم وجود ضريبة التمغة والتأمين

وفي نيويورك ظهرت أول مبادرة لنهضة الصحافة الأمريكية، إذ أنشأ بنجامان داي جريدة "ذي صن"The sun في سنة١٨٣٣. وكانت تباع بسنتيمين ولقيت هذه الجريدة نجاحًا سريعًا، إذ كانت توزع خمسة آلاف نسخة بعد أربعة أشهر من صدورها وعشرة آلاف نسخة بعد سنة.

وفي عام١٨٣٥ أعلنت جريدة "ذي صن" أن توزيعها بلغ١٩,٠٠٠ نسخة في اليوم بينما كان توزيع جريدة التيمس في لندن لا يتجاوز ١٧,٠٠٠نسخة يوميًا.

وفي سنة١٨٣٥ أنشأ جوردون بنيت جريدة "مورننج هيرالد"[١٨] ولقيت جريدته نجاحًا واسعًا لاعتمادها على الطبقات الفقيرة، كما فازت بثقة طبقة رجال المال، والأعمال، ومنذ سنة١٨٣٨ أصبح لجريدة

(١٨)Morning Herald.

"مورننج هيرالد" مراسلون في أهم العواصم الأوربية.

ولقد أدرك بنيت لأول وهلة أهمية ومستقبل التلغراف الذي اخترعه مورس، في عالم الصحافة. وفي سنة١٨٤٨ظهر عدد من أعداد هذه الجريدة متضمنًا عشرة أعمدة من البرقيات الخارجية. وبلغ توزيعها اليومي٣٣,٠٠٠نسخة في عام ١٨٤٩وبذلك أصبحت أولى صحف العالم.

ونجح بعض الأفراد في تقليد "بنيت" و"داي"، فأنشئوا صحفًا في نيويورك وبوسطن وفيلادلفيا وكثير من المدن الأخرى.

وفي ذلك الحين كانت الصحف الأمريكية قد نظمت تنظيمًا دقيقًا من حيث التوزيع والإعلانات والإدارة.

ونتيجة لانتشار توزيع الصحف الأمريكية صار للإعلانات المركز الأول فيها، وتمكنت الصحف من البقاء بفضل دخل هذه الإعلانات.

٤- إلغاء التمغة ووكالات الأنباء

كان للنجاح الذي لاقته الصحافة الزهيدة الثمن في أمريكا أثر تردد صداه في انجلترا فأقدمت الحكومة الإنجليزية على إلغاء ضريبة التمغة على الإعلانات في سنة١٨٥٣. وفي سنتي١٨٥٤ و ١٨٥٥ ألغت ضريبة التمغة على الصحف. وفي سنة ١٨٦١ألغت ضريبة الورق.

وبدأت جريدة" ديلي تلغراف " تبيع العدد منها منذ سنة١٨٥٥ ببنس واحد، أي ما يعادل سنتيمين في أمريكا. ونظرًا لزيادة عدد القراء

الذين كانوا يطلبون المزيد من الأخبار السريعة، اضطرت الصحف إلى البحث عن حل، إرضاء لرغبة قرائها، ووجدت هذا الحل في وكالات الأنباء وقد أنشأ(شارل هافاس) أول وكالة للأنباء في فرنسا في سنة١٨٣٢ وسميت باسمه واستخدم كافة وسائل المواصلات لتوسيع رقعة نشاطها، كما استخدم التلغراف في أول ظهوره.

وفيما بعد أنشأ روتر، وولفReuter &Walff الألمانيان وكالتين للأنباء على غرار وكالة هافاس.

ويتضح من كل ذلك أنه حدث انقلاب كبير في عالم الصحافة الدورية بين عامي١٨٣٠ و١٨٦٠ وصارت الصحف تهتم بكل من يعرفون القراءة. ومن البديهي أن عددهم كان يزداد يومًا بعد يوم. وأصبح الإعلان موردًا طيبًا من موارد الدخل للصحف. ومهد بيع الصحف بثمن زهيد، في متناول كل فرد من أفراد الشعب، لعهد جديد لم تظهر نتائجه كاملة إلا في بداية القرن العشرين.

الفصل الثاني

الصحف الأوروبية من١٨٤٨ إلى ١٨٧٠

كان لثورة سنة١٨٤٨ أثر واحد ونتيجة متشابهة على الصحافة في جميع الدول العربية فتمتعت الصحف فترة من الزمن بحرية مطلقة أدت إلى ازدهارها ورواجها ... ثم جاءت فترة ضغط مفاجئة، قيدت الكتاب من جديد. ولكنها لم تدفع إلى إعادة الرقابة، التي كانت بغيضة إلى النفوس وهذا هو ما حدث في النمسا وروسيا وفرنسا.

١- الثورة ورد الفعل في ألمانيا

كان أول نداء صدر خلال ثورة فينا في١٣ مارس سنة١٨٤٨ ليسقط مترنيخ والثاني "لتحيى حرية الصحافة". وفي مارس أعلنت حرية الصحافة بإلغاء الرقابة عليها رسميًا وبعد ثمانية أيام من هذا التاريخ بدأت الصحافة الجديدة في الظهور، فأصدر هافنر النمساوي صحيفة "كونستتيوسيون"[١٩]، وكان شعارها(الحرية والعمل). إلا أن الحكومة عادت فأصدرت قانونًا مؤقتًا بفرض الرقابة على الصحف مما أثار سخط الشعب النمساوي على الحكومة وانقسمت الوزارة على نفسها.

وفي١٨ مايو سنة١٨٤٨ اضطرت الحكومة إلى إصدار عدة قرارات

---

[١٩] الدستور.

تضمنت إلغاء الضمان المالي للصحف ونصت على حرية تحرير الأخبار ونقلها وإنشاء هيئة محلفين للنظر في القضايا الصحفية واستمر العمل بهذا النظام قائمًا، إلى أن استولى الجنرال ويند شجراتز على فينا، وأقام حكمًا عرف بحكم الإرهاب الأبيض وكان من بين خصومه الأربعة عشر الذين أراد البطش بهم ثمانية من الصحفيين، وقد أصدر أمرًا في أول نوفمبر١٨٤٨ بتقديم كل صحفي يخرج عن النظام إلى المحاكمة العسكرية كما ألقى القبض على الصحفيين بيكر وجيلينيك وأعدمهما رميًا بالرصاص.

وهكذا أضحت الصحافة النمساوية من جديد فريسة للضغط والإرهاب.

وأما في برلين فقد طلب الصحفيون في يوم١٨مارس١٨٤٨ من فردريك غليوم الرابع تصريحًا بمنحهم الحرية الصحفية فاستجاب الملك لطلبهم، وبادر كل حزب ألماني بإصدار صحيفته الخاصة، وتمتعت الصحف الألمانية بحرية تكاد تكون كاملة، وكانت تنظم أحوالها القوانين واللوائح، ونصت هذه اللوائح على ضرورة حصول الجريدة على ترخيص قبل صدورها وتوقيع غرامة عليها إذا ارتكبت مخالفة، وأبقت الحكومة رسم التمغة والضمان المالي وقد أفضت إلى تنظيم اقتصاديات الصحافة الألمانية.

وفي النمسا وروسيا نجحت ثورة١٨٤٨في إلغاء احتكار الحكومة للإعلانات واندفعت جميع الصحف تحاول الاستفادة من هذا الإيراد الجديد الذي كان ضروريًا لحياتها، وخاصة أن المنافسة كانت تضطرها لتجديد نفسها دوامًا وصرف مبالغ كبيرة للحصول الأخبار والبرقيات. ولذا أضحى لزامًا على كل من يرغب في إصدار جريدة أن يكون لديه

رأس مال كاف. وحرص مديرو الصحف الموجودة على عدم مخالفة القوانين، حتى لا توقع عليهم عقوبات مالية، تعرقل سير صحفهم، وبذلك اضطرت الصحافة الألمانية للسير بحذر حتى عام١٨٦٠.

٢- الثورة ورد الفعل في فرنسا

ولم تكن الصحافة الفرنسية في ثورة١٨٤٨ في حاجة إلى الكفاح من أجل حريتها لأنها كانت تتمتع بها أصلًا.

وفي ٥مارس ١٨٤٨ ألغت الحكومة المؤقتة التي كان من بين أعضاؤها رئيسا تحرير مجلتي"ناسيونال" و"لاريفورم" ضريبة التمغة. وفي٦ مارس حولت القضايا الصحفية إلى محاكم المحلفين وفي٢٢ مارس أعلن عدم اختصاص المحاكم المدنية في البت في قضايا التعويض الصحفية التي تهتم فيها الصحف بالقذف في حق المواطنين العموميين. وظهر رد الفعل لكل هذا في شهر يونيو١٨٤٨، حيث أمر الجنرال كافنياك صاحب السلطة المطلقة بتعطيل أحدى عشرة جريدة، والقبض على الصحفي جيرار دان. وأما القوانين التي صدرت في أغسطس١٨٤٨ فقد نظمت شئون الصحافة وأعادت الضمان المالي، ولم تتعرض لحرية الصحافة ولكن هذه الحرية ما لبثت أن زالت بعد٢ ديسمبر١٨٤٨، وهو تاريخ قلب نظام الحكم الفرنسي من جديد، وقيام حكم دكتاتوري اشتدت وطأته على الصحف، وظلت تعانيه حتى عام١٨٦٨.

وفي هذه الفترة اتخذت أشد الإجراءات ضد الصحافة والصحفيين. وكان على مديري الصحف أن يتولوا بأنفسهم مراقبتها، إذا أرادوا تجنب المسئولية والعقاب. وكان من نتائج هذه القسوة اختفاء عدة صحف. فكان ذلك سببًا لتحسن المركز المالي للصحف التي والت الصدور. ويلاحظ أن الصحافة الفلسفية والأدبية لقيت في هذا العهد رواجًا وازدهارًا، لا مثيل لهما وذلك بسبب كف الصحف عن الخوض في المشكلات السياسية، كما ساهم عدد من كبار أدباء فرنسا مثل سان بيف وتيوفيل جوتيه بمقالاتهم في رفع مستوى الصحافة الفرنسية، مما أدى إلى زيادة توزيعها، نظرًا لشغف القراء بهم.

وأدرك رجال المال أن الصحف أصبحت أداة هائلة في أيديهم للتأثير في الميدان التجاري.

النهضة السياسية في أوروبا منذ سنة١٨٥٩

جذبت الأحداث السياسية التي مرت بأوروبا في المدة من١٨٥٩ إلى ١٨٦١الصحافة إلى ميدان السياسة من جديد، قبل أن تحصل على حريتها. وقد أخلت الحرب الإيطالية بتوازن الأحزاب السياسية في فرنسا، وكانت سببًا في إلغاء الحكم الدكتاتوري في النمسا. وأصبحت المسألة الرومانية موضع اهتمام كافة أفراد الشعوب الأوروبية من متدينين. وفي ذلك الوقت كان الاتحاد الألماني قد تزعزعت أركانه. وكانت روسيا تستعد لإلغاء الرقيق. Servage ولم تستطع الصحف إخفاء هذه الحوادث الهامة عن شعوبها، واضطرت إلى عرضها والتعليق عليها، تحت نظر الحكومات التي غضت الطرف عنها.

وإلى جانب اهتمام الصحف بالسياسة العامة، كانت تهتم بالسياسة الدينية وأجاز المرسوم الصادر في ١٨٦٠ للصحف الفرنسية أن تنشر مداولات الهيئة التشريعية تحت رقابة الحكومة التي قامت تنفيذًا للسياسة التي رسمها الإمبراطور نابليون الثالث في سنة١٨٦٨ بتعديل القانون الصادر في سنة١٨٥٢ وألغى الترخيص الذي كان يجب الحصول عليه قبل إصدار الجريدة، والغرامات التي كانت تفرض على الصحف، مما أتاح للصحف المعارضة، فرصة التوسع بالرغم من الغرامات وعقوبة السجن التي كانت تحكم بها على أصحابها المحاكم الجنائية.

وفي داخل الاتحاد الألماني عملت القوتان المتنافستان وهما النمسا وروسيا على منح الصحافة بعض الحريات. وفي سنة١٨٦٣ صدر في النمسا قانون نص على إلغاء الرقابة على الصحافة مما أتاح لها نموًا ظاهرًا، وأصبحت قوة يعمل لها حساب.

وعندما تولى غليوم الأول عرش روسيا ظنت الصحف أنها ستتمتع بحريتها، ولكن الأزمة الدستورية التي كانت قائمة في ألمانيا في ذلك الوقت أوقفت النهضة الصحفية، وخاصة بعد أن تسلم(بسمارك) زمام الحكم، خاصة وأنه كان يفهم تمام الفهم قوة الصحافة وأهميتها في تنفيذ أغراضه السياسية الهجومية.

وقد اضطر إلى فرض عدة قيود شديدة على الصحف على نحو ما كان جاريًا في فرنسا. وعندئذ كفت الصحافة عن الخوض في مسائل

السياسة الداخلية. وفي ذلك الحين تزعم فردينا ندلاسال الصحافة المعارضة التي كانت تطلب العودة إلى النظام الذي كان معمولًا بع في سنة١٨٤٨ . ولم يصمت صوت المعارضة لبسمارك إلا بعد انتصاره في معركة (سادوا)، التي كانت الخطوة الأولى في الوحدة الألمانية، وسببًا في التفاف كل صحف ألمانيا حول الرجل الحديدي المنتصر وتأييدها له.

وفي نفس الوقت ظهرت الملكية الإيطالية، وظهرت إلى جوارها عدة صحف صغيرة، وخاصة في مقاطعة بيمونت التي تزعمت حركة الوحدة في إيطاليا. وكان اللاجئون الإيطاليون يفدون من أنحاء شبه الجزيرة الإيطالية إلى بيومنت، كما وفد إليها كثيرًا من الفارين من الدول الأوربية الأخرى لمتابعة مقاومتهم للحكم القائم في هذه الدول مما استدعى تدخل الدبلوماسيين لهذه الدول في إيطاليا، لوضح حد لهجمات المهاجرين.

وأما في انجلترا فلم تأخذ الحكومة الإنجليزية باحتجاج الدبلوماسيين على نشاط المهاجرين المعادي لحكوماتهم، وصرحت لهم بإصدار عدة صحف. وعلى الرغم من ذلك فإن المهاجرين كانوا يفضلون الإقامة في سويسرا وبلجيكا حيث كانت حرية الصحافة مكفولة.

على أننا نستطيع القول أن الصحف المعادية التي أصدرها المهاجرون في إيطاليا وانجلترا وسويسرا وبلجيكا، لم يكن لها أي أثر على حكوماتهم التي كانوا يهاجمونها. وفي عهد القيصر اسكندر الثاني تمتعت الصحافة الأدبية في روسيا بقدر من الحرية وكانت تمس المسائل السياسية من بعيد.

٤- توسع الصحافة الإنجليزية

على الرغم من كل التطورات والأحداث التي مرت بالصحافة الأوربية كانت الصحافة الإنجليزية تواصل حياتها الهادئة المطمئنة المزدهرة. وخلال الأزمة التي مرت بأوربا من سنة١٨٤٨ إلى سنة ١٨٥٢– كانت تقدم إلى قرائها كافة المعلومات عن الحركات الثورية في أوروبا وترحب بالحركات التحريرية وتحذر الرأي العام من الحركات الراديكالية والاشتراكية. ومن العجيب أن الصحف الإنجليزية كانت تعطف على المهاجرين السياسيين الذين كانوا يصلون إلى لندن ولكنها كانت تعاملهم في حذر ملحوظ.

وفي ذلك الوقت كانت جريدة التيمس قد بلغت ذروة قوتها وحافظت على استقلالها أمام الأحزاب السياسية وزعمائها. وفي حرب القرم سجلت هذه الصحيفة انتصارًا رائعًا، إذ كانت أول جريدة طالبت بإعلان الحرب على روسيا، كما كانت أول جريدة أوفدت مراسلًا لها إلى الشرق وهو وليام هوارد رسل، William Howard Russel الذي يعتبر أول مراسل حربي. وفي نهاية الحرب كانت التيمس تطبع ستين ألف نسخة بفضل الرسائل التي كان يوافيها بها مراسلها. ولم يكن يتجاوز المطبوع من الصحف المتنافسة لتيمس أكثر من ٢٠ألف نسخة

ويحق لنا القول بأن التيمس كانت تحكم انجلترا والثلاثين مليونًا من الشعب البريطاني في ذلك الوقت!!

ومع ذلك فإن التطورات الاقتصادية في ميدان الصحافة زعزعت من مركز التيمس. وقد دفع إلغاء ضريبة التمغة بعض الصحف إلى المخاطرة بزيادة كمية المطبوع منها من جهة، كما أن رواج الصحف الزهيدة الثمن من جهة أخرى مكنها من الثبات والازدهار. ولهذا اضطرت الصحف الكبرى إلى مواجهة الموقف بتخفيض سعرها. ومنذ سنة ١٨٦١ جعلت التيمس ثمن العدد منها ثلاثة بنسات وظلت محافظة على هذا الثمن خلال نصف قرن بأكمله.

وقد أدى اختراع آلة الطباعة(الروتاتيف) إلى أن تطبع الصحيفة ألف نسخة في اليوم مما كان سببًا في ظهور عدة صحف تباع ببنس واحد.

وفي هذه الأثناء كانت الصحافة المصورة تتقدم بنفس السرعة وساهمت السكك الحديدية والتلغراف في توزيع الصحف في الأقاليم بنجاح.

ويمكن القول أن الصحافة في انجلترا كانت قوة مسلمًا بها وبمكانتها، وكانت السياسة وأمورها تحتل مكان الصدارة فيها، ولذلك اهتم بقرائها ملوك العالم والوزراء والطبقات الارستقراطية والمتوسطة والعمالية.

الفصل الثالث

العصر الذهبي للصحافة.

تمتعت أوربا سنة ١٨٧١ باستثناء شبه جزيرة البلقان بفترة سلام وهدوء طويل. وكان التقدم الاقتصادي يسير جنبًا إلى جنب، مع التوسع في التعليم الشعبي، والتطور الديمقراطية، كما كانت الصحف تلقى إقبالاً مطردًا من قرائها، الذين كان يتزايد عددهم يومًا بعد يوم وكان لتقد العلوم والصناعة فضل في تزويد الصحف بالأخبار وزيادة عدد صفحاته ومواجهة كميات الطبع الكبيرة، وشرعت الصحف في إعداد نفسها لتلبية حاجات جمهورها الجديد ورغباته. وقد حدث هذا التطور في انجلترا وفرنسا وألمانيا.

١- مجد الصحافة البريطانية

حصلت الصحافة البريطانية على أقصى قدر من الحرية فقد اختفى الضمان المالي سنة ١٨٦٩ ونص قانون ١٨٨١ على ضرورة تسجيل الصحف، حتى يمكن في حالة التقاضي التعرف في سهولة عل أصحاب الصحف، وكان لصدر قانون التعليم الإلزامي، في ١٨٧٠ وقانون الانتخاب في ١٨٨٤ فضل كبر في زيادة اهتمام الملايين بقراءة الصحف... وترتب على ذلك أيضًا صدور عدد. لا يستهان به من كافة أنواع المجالات كما انتهزت الصحف الإقليمية الفرص، فنظمت نفسها

بإنشاء اتحاد لها. وفي سنة ١٨٨١ كان لمحرري الصحف الإقليمية الحق في حضور جلسات مجلس العموم على قدم المساواة مع محرري الصحف اللندنية الكبرى.

ومن أهم الصحف الإقليمية التي عرفتها إنجلترا مانشستر جارديان وليفربول دايلي بوست وسكوتسمان إلى الإصلاح من شأنها، وإدخال الكثير من التحسينات على طباعتها وأخبارها، وأخذت تتنافس فيما بينها وتتسابق إلى نشر الأنباء الهامة والمثيرة حتى تكسب ثقة الجمهور ويزداد عدد قرائها.

٢- اللورد نور ثكليف مؤسس الصحافة الشعبية.

كان للإعلانات فضل يذكر في تخفيض ثمن بعض الصحف الإنجليزية إلى بنس واحد، وبعد سنة ١٨٧٠ ساهم نمو الثروة العامة والمنافسة التجارية في زيادة الخسارة التي تحملتها الصحف من جراء تخفيض أثمانها. وفكر بعض الناشرين الإنجليز في إصدار صحف يومية مثيرة تباع بنصف بنس على غرار الصحف الفرنسية وظهرت فعلًا جريدتا ذي ستار .The star في سنة ١٨٨٨ ومورننج ليدر .Morning Leader في سنة ١٨٩٢ اللتان خرجتا على تقاليد الصحافة الإنجليزية واتبعتا أسلوب الصحافة الأمريكية في نشر العناوين الضخمة المثيرة والأخبار الرياضية.

وقد بدأ الثورة في الصحافة الإنجليزية ألفريد هرمسورث (لورد نور

ثكليف) الذي كان من كبار رجال المال والأعمال، إذ عرف كيف يستخدم الصحافة لاجتذاب الجماهير، ولكي يروج صحيفته التي أسسها في سنة ١٨٨٨ نشر فيها مسابقة تلقى عليها ردودًا من ٧٠٠ألف قارئ. وواظب القراء على شراء هذه الصحيفة على الرغم من أنها لم تكن تخوض في المسائل السياسية بل كانت تعالج الموضوعات التي يهتم بها أفراد الشعب.

ولم يقف طموح لورد نور ثكليف عند حد، وخاصة أنه لم يكن طر بعد الموضوعات السياسية، كما يحب لنفسه أن يطرقها وكانت صحيفة " ايفننج نيوز" Evening News قد غزت السوق. وعندئذ أراد تحقيق حلمه. بإنشاء جريدة "ديلي ميل" .Dally mil سنة ١٨٩٦ مع كيدي جونز أحد الصحفيين الطموحين، وكانت الصحيفة تنشر عنوانات ضخمة وأخبار متنوعة من كافة أنحاء الأرض، ثم خصصت صفحة للتسلية جعلت ثلثها لرواية مسلسلة وعلى الرغم من كافة التكاليف التي تحملتها الجريدة فإنها كانت تباع بنصف بنس. وبعد خمس سنوات من صدورها بلغ توزيع مليون نسخة وكان من الطبيعي أن يزداد إقبال المعلنين على النشر فيها، بعد أن ذاع صيتها وأصبحت ترى في كل يد، وتوجد في كل بيت.

وكان ديلي ميل من الصحف السياسية الاستعمارية التي تعرض على الشعب الإنجليزي عظمة الإمبراطورية، وتغرس فيه حب الدفاع عنها، وكان ذلك بتوجيه من لورد نور ثكليف الذي أيدته الحكومات الإنجليزية المتعاقبة.

وقد ترتب على نجاح "ديلي ميل" الساحق أنشأت مطبعة لها في

منشستر سنة ١٨٩٩ لطبع نفس النسخة اللندنية. ثم فكر نور ثكليف في إنشاء مجلة نسوية ولكنه أخفق في إصدارها واستبدلها بجريدة مصورة جامعة وهي " ديلي ميرور" .التي بيعت بنصف بنس ونالت نجاحًا منقطع النظير وواصل نور ثكليف نجاحه بإنشاء طبعة أوربية من ديل ميل في سنة ١٩٠٥.

التيمس احتفظت بمكانتها الدولية بلا منافس وكان مراسلوها في العواصم الأوروبية يحصلون على أخبار تفوق في الأهمية ولقد حاول بعض الصحفيين الإنجليز محاكاة ديل ميل فأنشأ بيرسون جريدة "ديلي اكسبريس" .Daily Express بلغت ذروة النجاح بسرعة وأطرد نموها ونجاحها عندما أستولى عليها الصحفي الكندي (مكس أتكن) الذي كان مطلعًا على أسرار نجاح الصحافة الأمريكية وعرف فيما بعد باسم لورد بيفربروك. وعلى الرغم من النجاح الذي لقيته هذه الصحف فإن الأخبار التي يحصل عليها سفراء إنجلترا!!؟

وكان نابليون الصحافة "لورد نور ثكليف" يحلم بامتلاك التيمس، وقد أتيحت لها هذه الفرصة سنة ١٩٠٨ وعندما قرر أصحابها بيعها فبادر بشرائها وحقق حلمه الجميل.

ولم يحاول نور ثكليف المساس بتقاليد التيمس ولكنه نفخ فيها من روحه وجعل سياستها استعمارية وضد ألمانيا. وهنا كانت الصحافة الجديدة قد اجتاحت الصحافة القديمة، وأزاحتها من طريقها.

٣- تطور الصحافة الفرنسية.

لقد كافحت الصحافة الفرنسية بعد سنة ١٨٧٠، للحصول على الحريات التي كانت تتمتع بها الصحافة الإنجليزية، وفي الوقت الذي كانت فيه باريس محاصرة إبان حرب السبعين كانت الصحف تتمتع بحريتها، إلا أنها لم تتمتع بهذه الحرية طويلًا، إذ اشتدت قبضة الحكومة عليها، بعد توقيع الهدنة، وقرر المجلس الوطني عرض قضايا الصحف على هيئة المحلفين، ولكنه أعاد الضمان المالي لأسباب سياسية واقتصادية.. ولم تؤثر هذه القيود على الصحف السياسية لأنها كانت تعالج موضوع اليوم، وهو الاختيار بين الملكية والجمهورية. وفي ذلك الوقت ظهرت عدة صحف لقيت نجاحًا يذكر. ومنها صحيفة "لاربوبليك فرانسيز" La RepubliqueFrancaise. لسان حال الجمهوريين والتي أنشأها (جامبيتا)، وصحيفة (لو فرانسيه) Le Francais لسان حال الملكيين، وهي التي أنشأها دوق دي بروجلي. وبعد سقوط حكومة أدولف تير، حاولت حكومة الجمهورية الجديدة، كبت حرية الصحافة فألغت ثمانية وعشرين صحيفة منها، وعطلت عشرين صحيفة أخرى، وحظرت بيع ١٧٣ صحيفة في الطريق العام!!.

ومع كل المضايقات التي صادفتها الصحف، صدر قانون المطبوعات في سنة ١٨٨١، وهو ينظم المطبوعات والمكتبات والصحف الدورية، ويقضي بإلغاء الضمان المالي، وضريبة التمغة. وقد سهل هذا القانون إنشاء صحف جديدة وأكثر اختصاص محاكم

المحلفين. وكان هذا القانون في الواقع من أحسن القوانين التي ضمنت حرية الصحافة في العالم، ولم تدخل عليه تعديلات هامة فيما عدا تعديل واحد نص على إحالة قضايا الدعاية الثورية إلى محاكم الجنايات.

وعلى أية حال طفرت الصحافة الباريسية طفرات كبيرة، دون أن تنتظر الموافقة النهائية على هذا القانون ووثبت وثبة جديدة بفضل شخصية محرريها الذين كانوا يوقعون مقالاتهم، بينما كان زملاؤهم الإنجليز ينشرون مقالاتهم غفلًا من الإمضاء. ونظرًا لأن هؤلاء الصحفيين كانوا من خيرة رجال الأدب فقد نجحوا في تحريات مقالاتهم السياسية بأسلوب أدبي رفيع مما أجتذب القراء إلى صحفهم. ومن بين الصحف القيمة التي ظهرت في ذلك العهد "لوفيجارو" le Figaro التي وصلت إلى أوجِ قمتها بعد سنة ١٨٧٠ وأصبحت عن جدارة وحق صحيفة باريس الأولى. ثم صحيفة "لوطان" .Le Temps التي كانت تشبه جريدة التيمس الإنجليزية لما أتسمت به من طابع جدي محترم ، في رواية الأخبار الصادقة. وكانت هذه الجريدة لسان حال الجمهوريين المعتدلين، وكانت صحيفة للرأي والخبر على السواء.

وفي بداية القرن العشرين ظهرت عدة صحف رأى قفزت إلى الصفوف الأولى منها صحيفة "لومانتيه" .L'Humanite أهم الصحف الأشتراكية التي أسسها جوريس.Jaures ثم جريدة " لوكسيون فرانسيز" L 'actionFrancaise التي أسسها شارل موراس لتكون لسان حال الملكيين. وجريدة لوفر .L'Oeuver الأسبوعية والتي صدرت يومية منذ

سنة ١٩١٤ وكانت لسان حال الحزب الراديكالي وكان للجماهير الشعبية صحفها مثل " لوبوتي جورنال" Le petit Journal التي كانت تباع النسخة منها بمبلغ سو واحد وصحيفة "لوبوتيباريزيان" Le petit Parisien وكان ينافس هاتين الصحيفتين جريدة رجال الدين La Croix

وفي المدة سنة ١٩٠٠ إلى ١٩١٤ ظهرت عدة صحف٥ استلهمت في خطاها الطرق الأمريكية، واهتمت بالنواحي الفنية والتجارية التي كانت سببا في نجاح.. "لوبوتي جورنال" و"لوبوتيباريزيان" وكانت أولى الصحف التي سارت على هذا النحو "لوماتان" Le Matin التي أسسها سنة ١٨٨٤ جماعة من الذين نشأوا في الولايات المتحدة. وكانت تطبع ٤٨٣ألف نسخة في سنة ١٩٠٥ ومليون نسخة في سنة ١٩١٣.

وأخذت الصحف في فرنسا كما في إنجلترا وأمريكيا تتنافس في اجتذاب القراء والمشتركين وإرضائهم بالهدايا. ففي إنجلترا كانت الصحف تقدم بوالص تأمين مجانية. وفي باريس كانت الصحف تنشر مسابقات ذات جوائز ثمينة.. وأما في نيويورك فقد تنوعت الهداية التي تقدمها الصحف لقرائها. وحتى سنة ١٩١٤ كانت الصحف الفرنسية قد اكتسبت عدة ملايين من القراء الجدد، مما أدى إلى قيام منافسة شديدة بينها واضطرت إلى ابتكار وسائل جديدة للمحافظة على قرائها وإعلاناتها.

٤- تطور الصحافة الألمانية

بعد أن تم توحيد ألمانيا صدر فيها منذ سنة ١٨٧٤ قانون خاص بالصحافة، ألغى الرقابة على الصحف، وجعل قضاياها من اختصاص

المحلفين، باستثناء قضايا العيب في الذات الملكية. وعندما أشار بسمارك بسن هذه القانون أبدى رغبته في ألا يكون فيه قيد لحريته، في الإشراف على الصحف، وفي نفس التوقيت كانت هناك صحف أخرى كثيرة تتلقى توجيهاتها، وإعاناته المالية. وكان على بسمارك أن يوجه الصحف الكاثوليكية. التي لم يكن من السهل عليه إخضاعها لنفوذه، بسبب إشراف رجال الدين عليها. وكان الاشتراك فيها فرضًا على المخلصين من أبناء الطائفة. كما كان من الواجب على التجار منهم أن يمدوها بالإعلانات. وكان للكاثوليك صحيفتان هما "كولنيشفولكسزايتنج" KolnischeFolkszeitung التي تصدر في كولونيا و" جريمانيا" Germania التي كانت تصدر في برلين لسان حال حزب الوسط في ألمانيا الاتحادية.

وكان للحزب الاشتراكي الألماني صحفه الخاصة به، التي أفردت للسياسة مكانًا بارزًا في أعمدتها، وراحت تعمل على تعليم الطبقات العاملة، وتثقيفها، وجمع شملها. وزعمت القيام بهذا الدور صحيفة " فورفارتز" Vorwarts. التي كانت تصدر في ليبزج. وقد لقيت الصحف الاشتراكية هجومًا عنيفًا من المستشار بسمارك[٢٠]. ولم يقف هذا الهجوم إلا بعد سقوطه. وقد بدأ بعد ذهاب بسمارك على الصحافة الألمانية كثير من التطور والتقدم، وكان ذلك راجعًا إلى أسباب اقتصادية واجتماعية. أما الأسباب الاقتصادية التي ساعدت على نمو الصحافة الألمانية. فترجع إلى أن توحيد ألمانيا أدى إلى قيام نهضة صناعية وتجارية وكان من آثار هذه النهضة زيادة دخل الصحف القديمة والجديدة. وإقبال التجار على الإعلان فيها.

---

[٢٠] المستشار هو اللقب الذي يطلق على رئيس الوزراء في ألمانيا والنمسا.

وقد أدرك رجال الصحافة والتجارة أهمية الإعلان، فالطائفة الأولى كانت ترغب في زيادة عدد قرائها عن طريق نشر المقالات المتنوعة الموضوعات والطائفة الثانية كانت ترغب في المساهمة بإعلاناتها في الإبقاء على الصحف والحرص على لفت أنظار القراء إلى بضاعتهم.

٥- الصحافة في البلاد الأوربية الأخرى

كان طابع الصحافة في البلاد الأوروبية الأخرى فيما بين سنتي ١٨٧٠ و ١٩١٤ هو نفس طابعها في إنجلترا وفرنسا وألمانيا.

ويتضح هذا الطابع في زيادة عدد الصحف، وتضخم نفقاتها، وتضاعف عدد القراء، والإقبال على الإعلان الذي يغطي هذه النفقات، والمنافسة الشديدة بينها جميعًا.

ففي سويسرا وبلجيكا صدرت عدة صحف جديدة، وفي بلجيكا بالذات كانت تصدر ١١٠٠ جريدة في سنة ١٩٠٧ منها ١١٠ جريدة يومية وكان ذلك سببًا في خلق متاعب مالية للصحيفة أدت إلى اختفاء الكثير منها.

وأما إيطاليا الموحدة فقد تمتعت الصحافة بحرية تامة في سنة ١٨٧٠، إلا أن سوء حالتها المالية حال دون انتشارها كما انتشرت في إنجلترا وفرنسا وألمانيا وكانت الصحف الإيطالية تعالج الموضوعات السياسية والأدبية والمسرحية وتمهل المسائل الاقتصادية.

الفصل الرابع

توسع الصحافة في الولايات المتحدة

١- صحافة الرأي الكبرى

أشرنا في الفصول السابقة إل أن الصحف الأوروبية كانت تقلد الصحف الأمريكية. ففي سنة ١٨٤٨ كانت صحافة أمريكا تتردد بين الأخذ بأسباب الطرق القديمة في أن تكون صحافة رأي فقط، وبين الأخذ بأسباب الطرق الحديثة في أن تكون صحافة خبر. وكان زعيم صحافة الرأي جوردونبينيت في جريدة نيويورك هايرالد. وكان ينافسها من جهة أخرى هوراسجريلي الذي تزعم صحافة الخبر.

وفي سنة ١٨٤١ أصدر جريلي جريدة " نيويورك تربيون" وكان يبعها بسنت واحد. ثم أضطر إلى بيعها بسنتين أسوة بهيرالد. وكانت جريدته تنشر كافة الأخبار والقصص المسلسلة التي كان يهتم بها الشعب الأمريكي. وإلى جانب جريدته اليومية أصدر مجلة أسبوعية هي " ويكليتربيون" Weekly Tribune. جعل الاشتراك فيها دولارين في سنة. وقد لقيت هذه المجلة نجاحا فائقة، إذا كانت تطبع في سنة ١٨٥٣ نحو ٥٠ألف نسخة وزادت هذه الكمية إلى ٢٠٠ ألف نسخة في سنة ١٨٦٠.

وكان جريلي على عكس بينيت يحمي الضعيف من عسف القوى. وكان يتمسك بكتابة افتتاحية المجلة حيث كان يؤيد

كل الإصلاحات ويطالب بتنفيذ المشروعات الكبرى، وتجاوز هذا الحد فطالب بتحرير الزنوج ولقد أثارت جرأة جريلي ثائرة المحافظين، ولكن شهرته فاقت كل حد حتى كتب أحد الصحفيين في خطاب أرسله إلى أمة العبارة الآتية:

"أن سكان الغرب يضعون صحيفة تربيون إلى جوار الإنجيل..."

وكان طبيعيًا أن تسوء العلاقات بين جريليوبينيت، وقد اتحدت صحف الثاني على تحطيم الأول باعتباره اشتراكيًا.

ولكن هذه الحرب جاءت في مصلحة جريلي، إذا انضم إليه في هذه المعركة عدد كبير من مشاهير الكتاب ومنهم ريموند أحد الصحفيين النابهين الذي انتخب في سنة ١٨٥١ لإدارة جريدة نيويورك تيمس وقد أنشأ هذه الصحيفة جماعة من الرأسماليين، لتكون لسان حال الحزب الجمهوري الذي أعتمد على قوة جريلي وريموند.

وانتشرت الصحف في كل مكان خارج نيويورك. وكانت صحف واشنطن قبل اختراع مورس للتلغراف قد احتكرت الأخبار الرسمية كما احتكرت صحف نيويورك أخبار الخارج.

ولما اتسعت شبكة الخطوط التلغرافية أخذت الصحف في كل المناطق تحرر من هذا التخصيص في الأخبار. وفي الحقيقة يمكننا القول أن نهضة الصحافة في الولايات المتحدة بدأت منذ نشوب الحرب الأهلية. إذ أثارت حوادث هذه الحرب في نفوس الناس حب التطلع إلى

الأخبار المفصلة السريعة، ودفعت الصحف الكبيرة إلى التنافس في الحصول على الأخبار، والسعي في تعيين المراسلين الحربيين في جميع جهات القتال.

وبعد انتهاء الحرب الأهلية صارت قراءة الصحف ضرورية لأفراد الشعب الأمريكي، وكان ذلك سببا في احتفاظ الصحف بقوتها ونشاطها، حيث شرعت في معالجة مشاكل السلام والدستور الجديد. وقد أمدت هذه المشاكل الصحف بمادة غريزة للكتابة. وفي سنة ١٨٦٦ حدث تطور جديد في نقل الأخبار الخارجية إلى الصحف الأوروبية عن طريق الخط التلغرافي الذي مد في قاع المحيط الأطلنطي، مما أتاح للصحف فرصة لوثبة جبارة.

الصحافة المثيرة.

كانت الصحف الأمريكية تميل إلى الخبر أكثر مما تميل إلى الرأي ولذا أضطر المشرفون عليها إلى بذل ما في وسعهم لإرضاء الجمهور بسرد تفاصيل الحوادث اليومية.

وأخيراً جاءت حرب السبعين في سنة ١٨٧٠. ثم تبعتها حرب البلقان في سنة ١٨٧٧ وانتهزت الصحف الأمريكية فرصة هاتين الحربين فأوفدت مراسلين حربين لها إلى ميادين القتال لموافاتها بتفاصيل المعارك. وقد ساعد نشر هذه التفاصيل، في زيادة توزيع الصحف. ثم أصبحت الصحافة في أمريكا صناعة مبرحة بفضل ظهور

رجلين على مسرحها وهما "بوليتزر وهيرست" .Pulitzer & Hearst اللذان كرسا جهودهما للتفنن في صحافة الخبر المثير. وكان بوليتزر من أصل مجري وعندما فقدت أسرته ثورتها أضطر إلى الانخراط في سلك الجندية أثناء الحرب الأهلية وأشتغل بعد الحرب في عدة صحف وذلك قبل أن يشتري جريدة "نيويورك ويرلد".New York World في سنة ١٨٨٣ وقد أثبت في ميدانه الجديد مقدرته باكتشاف عدة وسائل للوصول إلى هدفه، وهو زيادة توزيع الجريدة. فأضاف صور الحوادث اليومية الواقعية إلى جانب أخبارها، وبازدياد توزيع صحيفته، زاد إقبال المعلنين عليها، وزاد عدد صفحاتها وكانت رغبته في خدمة جمهور القراء، في دق وتفنن سببًا في ازدهار جريدته. ولهذا كان يتدخل في كل كبيرة وصغيرة تتصل بأمور التحرير. وكان يحرص على نشر الأخبار التي تحدث ضجة كبرى، كي يوجه منافسه الصغير ويليام راندولف هيرست الذي كان يشاطره الجد، وقد سارع هيرست بعد أن أتم دراسته في الجامعة إلى الإقامة في نيويورك، ليرقب عن كثب الطرق والوسائل التي تجرى عليها جريدة "نيويورك ويرلد". وعاد بعد ذلك إلى مسقط رأسه كاليفورنيا حيث كان أبوه عضوًا في الكونجرس.

وقد تنازل له والده عن جريدة "ايكزامينر" Examiner صحيفة سان فرنسسكو التي كانت تسير في طريقة الهاوية. وفي مدى سنتين ضحى هيرست الشاب الذي كان لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره بأربعمائة وخمسين ألف دولار لانتشال جريدته من الخسارة وجعلها تحقق أرباحًا بفضل حربه ضد الأكشاك البريدية التي كان يمقتها سكان كاليفورنيا،

وضد أصحاب المصانع والعمال الصينين الذين كانوا يقبلون العمل فيها بأجور زهيدة جدًا.

وفي سنة ١٨٩٥ أشترى هيرست وكان عمره واحدًا وثلاثين عامًا، صحيفة تصدر في نيويورك وهي "مورننج جورنال" .Morning Journal كي يشاطر بوليتزر مجلده في مدينة نيويورك، ولم تقصر والدة هيرست الصغيرة في منحه سلفة قدرها سبعين ملاين وخمسمائة ألف من الدولارات، وقد مكنه هذا الاحتياطي الضخم من بدء الهجوم في ثبات وطمأنينة في ميدان الصحافة، وباع النسخة من جريدته بسنت واحد. واضطر بوليتزر بعد سنة من هذه الهجوم، إلى تخفيض سعر النسخة الواحدة من جريدة "نيويورك ويرلد" إلى سنت واحد. وهنا نشبت شعواء بين المتنافسين، تفنن خلالها كل منهم في ابتكار الوسائل لاجتذاب القراء.

وكان الجمهور يتابع حرب المنافسة بين الرجلين باهتمام كبير وسجل هيرست أروع انتصار له أثناء حرب كوبا عندما وصل إلى علمه أن الأسبان سجنوا سيدة كوبية شابة واهتمت بمأساتها سيدات الولايات المتحدة جميعًا. وأنتهز هيرست هذه الفرصة، فأرسل أحد محرريه إلى الجزيرة، واستطاع تخليصها من أسرها وكان للعنوانات الضخمة التي عرضه بها الخبر فضلًا عن وقع الخبر ذاته أثر كبير بين الجماهير عندما عرضه في العدد الذي صدر من صحيفته في ١٠ أكتوبر ١٨٩٧. وهنا شعر بولينزر بأن واجبه أن ينهض بجريدته لتسير على قدم المساواة مع جريدة هيرست فوقع العدوان هدنة، وبذلك تمكنا من جعل الصحافة

المثيرة تتابع نشاطها في سلام في الولايات المتحدة.

وفي تلك الأثناء كانت فترة الاشتغال بالسياسة تداعب خيال "هيرست" فرضخ نفسه ليكون عمدة نيويورك ومحافظًا لها ولكنه سقط في الانتخابات.. وكان نجاح صحف عزاءه الوحيد إذ سرعان ما أصبح صاحب دار كبرى للصحف تخرج الصحف اليومية والمجلات المصورة الأسبوعية والشهيرة.

ويحق لنا القول بأن صحف بوليتزر وهيرست بعد صحف بينت تلقيت نجاحًا هائلًا، لأنها تمكنت من مسايرة طبيعة الحياة الأمريكية السريعة، ومزاج الشعب الأمريكي الذي يحب الترفيه عن نفسه، بالأخبار المثيرة والقصص الهزلية بعد يوم من العمل والجهاد.

تقدم الفن الصحفي

في سنة ١٨٤٦ استخدمت أحدى صحف فيلادلفيا لأول مرة آلة الطباعة "روتاتيف" .Rotative التي اخترعها "هوو" Hoe وفي سنة ١٨٧١ أنتجت مصانع "هوو" آلة طباعة "روتاتيف" جديدة أدخلت عليها بعض التحسينات لمواجهة كميات الطبع الكبيرة وفي سنة ١٨٨٥ اخترع مرجنثيلر.Mergenthaler وهو أمريكي من أصل ألماني، آلة الكتاب السطرية "اللينوتيب"، وقد قامت باستخدامها شركة من شركات الصحف، وضربت صحيفة "نيويورك تريبيون" لغيرها المثل عندما أقامت اثنتي عشرة آلة من هذه الآلات في مصانعها في سنة ١٨٨٦ فانتشرت

استعمالها سريعًا بعد ذلك في عالم الصحافة.

وساير التطور الآلي في طباعة الصحف تطور أخر، وهو نشر الرسوم اليدوية، التي أقبل عليها الجمهور بشغف، وكان للصحف الأمريكية فضل السبق في إدخال الصور في الصحف السياسية اليومية ، وكانت صحيفتا " نيويورك تربيون" و"مورننج جورنال" تبدعان في نشر الرسوم الكاريكاتورية الملونة.

ونظرًا لكثرة المطبوع من الصحف الأمريكية فقد عانت أزمة في ورق الطباعة، المصنوع من "الخرق" بسبب ارتفاع سعره.

ولمواجهة هذه الأزمة أتجه ذوو الشأن إلى إيجاد ورق زهيد الثمن فاكتشفوا الورق المصنوع من لب الخشب.

ولما كان إصدار صحيفة كبرى حديثة يتطلب نفقات باهظة وكان سعر بيع النسخة يتجاوز قيمة التكلفة، أخذت الإعلانات تعوض وثبة هائلة في الولايات المتحدة وصارت له دراسات نفسية واجتماعية وأدبية وفنية. وبفضل الإعلانات زاد عدد صفحات الصحف اليومية حتى وصل إلى مائة صفحة!

ونظرًا لأن الصحف أصبحت صناعة من الصناعات الناجحة،

فقد طبقت عليها نفس النظام السائدة في الصناعات الأخرى. وعرف ميدانها الشركات المساهمة، والتحالف والمنافسات. وبدأ ذلك

التيار بين سنة ١٨٧٠ وسنة ١٨٨٠ في الغرب الأوسط. وأنشئت عدة مؤسسات صحفية أدارت عددًا من الصحف ومن هذه اتحاد "سكريبس – ماك راي" .Scripps - Mac- Rae League الذي أنشئ سنة ١٨٩٥، وظل يكبر ويتسع حتى سيطر على شاطئ الباسفيكي بأكمله، وأصبح يملك ثلاثًا وعشرين صحيفة في سنة ١٩٢٥.

وقد نشأت وكالات الأنباء، وأخذت تزاول عملها في تؤدة ومهل وكانت أقل شأنًا من زميلتيها الأوربيتين "روتروهافاس" وفي سنة ١٨٩٢ أنشئت وكالة الأنباء المعروفة باسم "اسوشيتدبريس" Assossiated .Press التي أمدت صحافة الولايات المتحدة بالأخبار. وفي سنة ١٩٠٧ أنشأ أتحاد (سكريبس ماك راي) وكالة "يونيتدبرس" United .Press وفي سنة ١٩٠٦ كان هيرست قد أنشأ وكالة "إنترناشونال نيوز سرفيس" .International News Service لخدمة صحفه الخاصة. ثم نشأت أيضًا وكالات المقالات التي كانت تقدم للصحف الافتتاحيات والقصص المسلسلة. وقد ساعدت هذه التطورات على تخفيض نفقات الصحف. كما ترتب على ذلك إلغاء الصحافة الخاصة التي يمتلكها الأفراد لأنها صارت صناعة هائلة ، يعمل فيها مئات الألوف، لإرضاء ملايين القراء من مختلفي الأهواء والنزاعات.

٤- صحافة المهاجرين والزنوج

أصدر المهاجرون إلى أمريكا من غير الإنجليز والايرلنديين صحفًا بلغاتهم، فكانت تصدر باللغات الأوكرانية والسلوفاكية والمجرية ولقيت

الصحف الهولندية رواجًا كبيرًا. ونجحت الصحف اليهودية التي كانت تصدر بالعبرية كل النجاح، لأن عدد الطائفة كان كبيرًا، ولأن أبناءهم تعلموا جميعًا في المدارس. وقد أنشأوا في نيويورك عددًا من الصحف الكبيرة، قلدوا فيها الوسائل الفنية والتجارية التي أتبعها هيرست في صحافته.

ونشأت هناك صحف أخرى تحرر بالإنجليزية، وكلنها تختلف عن الصحف الأمريكية، وهي صحافة الزنوج ولم يكتب لها البقاء لأنها كانت تعني بالوسائل التربوية فقط وأهم الصحف الزنجية جريدة " نيجرووورلد" Negro World. التي كان مبدؤها (أفريقيا للأفريقيين) غير أنه من الملاحظ أن صحف المهاجرين والزنوج لم يكن لها أي تأثير يذكر على الحياة الأمريكية.

الجزء الرابع

الصحافة في القرن العشرين

الفصل الأول

الصحافة في الحرب العظمى

كانت حرب سنة ١٩١٤ سببًا في إظهار قوة الصحافة، كما كانت سببًا في إظهار ضعفها. وأما السبب في قوتها فيرجع إلى أن العالم كان مشوقًا لقراءة الصحف. وأما السبب في ضعفها فيرجع إلى فرض الرقابة عليها. وقد تأثرت الحياة الاقتصادية للصحف بحالة الحرب أيضًا، وذلك بسبب الشلل التجاري الذي أدى إلى وقف نشر الإعلانات في الصحف مما اضطر إلى تخفيض نفقاتها وعدد صفحاتها. ومن جهة أخرى كانت أزمة الورق سببًا مباشرًا في خلق هذه الحالة، وزاد الطين بلة أن الحكومات اضطرت إلى تحديد كمية الورق التي توزع على كل جريدة. ونتج عن ذلك ارتفاع سعره، ومن ثم القضاء المبرم على الصحف الزهيدة الثمن.

وأثارت العلاقات السياسية بين الصحافة والحكومات، عدة مشاكل، كان من الصعب حلها، فلم تكن الصحف تدري أي الأخبار صالح للنشر وأيها غير صالح. وسرعان ما بدأ الخلاف حول خطورة الأخبار، وحول المقالات وأثرها في الروح المعنوية للقراء.

١- نظم الصحافة في إنجلترا أثناء الحرب الأولى

كانت الصحف في إنجلترا أثناء الحرب العالمية الأولى تخضع للرقابة الوقائية، التي قررها القانون الذي صدر في ١٤ أغسطس ١٩١٤

لحماية المملكة المتحدة. وفي نوفمبر ١٩١٤ منحت الحكومة وزارة الداخلية، سلطة تفتيش الصحف ومصادرتها كلمام تبين لها أن ما نشر فيها يهدد الأمن العام. ولكي تتلاقى الحكومة الإنجليزية سوء التفاهم بينها وبين الصحف أنشأت مكتبًا للصحافة يضم أربعة أقسام:

١- قسم نشر الأخبار.

٢- قسم مراقبة البرقيات.

٣- قسم الشئون البحرية.

٤- القسم العسكري ومهمته الأشراف العام على الرقابة كلها.

غير أن هذا الوضع لم يحل بين لورد بيفربروك ولورد نورثكليف، زعيمي الصحافة الإنجليزية، وبين توجيه النقد للحكومة كلها، حتى تركز كل الجهود للمحافظة على الإمبراطورية في المعركة ألمانيا. وأخذت التيمس على عاتقها – منذ الأيام الأولى للحرب- أن تفهم قراءها أن وجود الإمبراطورية البريطانية أصبح في كف القدر، ولامت الحكومة على عدم اعترافها بهذه الحقيقة وعلى وإعطائها للشعوب أسوأ المثل في البطء والميوعة. ولكن على الرغم من كل ذلك يجدر بنا أن ننوه بأن الصحافة في إنجلترا عاونت الحكومة كثيرًان في جعل نفوس الناس راضية عما فرض عليها من إجراءات شاذة، بسبب طول مدة الحرب.

٢- وفي فرنسا

وأما في فرنسا فإن أخطار الحرب كانت أسوأ مما كانت عليه في إنجلترا. ولذا صدر في ٢ أغسطس سنة ١٩١٤ مرسوم بوضع جميع الأراضي الفرنسية تحت سلطة الأحكام العرفية. وبذلك منعت جميع الأخبار والمقالات المتعلقة بالعمليات الحربية منعًا باتا، ولكن على الرغم من ذلك لم يصدر قانون بفرض الرقابة بل كلفت الصحافة بإرسال تجربة من تجارب طبعها إلى مكتب الصحافة قبل نشرها فإذا ما ثبت أنها تضمنت أخبارًا عسكرية لم يسمح المكتب بنشرها، وقعت الصحيفة تحت طائلة القانون.

ثم اتفق بعد ذلك على موافقة المكتب على تجارب الصحيفة قبل الطبع.

غير أن الوفاق لم يتسمر طويلًا بين الرقابة والصحافة، وأصدر مجلس الدولة قرارًا في ٦ أغسطس ١٩١٥ بفرض الرقابة العسكرية على جميع المطبوعات الفرنسية، وإعادة قانون ١٨٤٩ بكل قوته.

وقد بذلت عدة محاولات من جانب الصحفيين لإعادة الحرية إلى الصحافة ولكنها باءت جميعها بالفشل.

وبعد أن تولى (كليمنصو) رياسة الوزارة لم يلغ الرقابة ولكنه خفف من قيودها. وترك الصحف تهاجمه وترسم له الصورة الكاريكاتورية!.

٣- وفي ألمانيا.

لم تكن الصحافة الألمانية تتمتع بالنفوذ الذي كانت تتمتع به في إنجلترا وفرنسا. وكان من الطبيعي أن تفرض الرقابة على كافة الصحف الألمانية، وقد تولاها لفيف من الرجال العسكريين، مما سبب كثيرًا من المتاعب والمشاكل بين الحكومة والصحف، ومع ذلك أدت الصحافة واجبها الوطني خير أداء.

٤- الدعاية أثناء الحرب

لقد عهدت جميع الدول المتحاربة، إلى الصحف مهمة الدعاية في الداخل لتقوية الروح المعنوية، بين أفراد الشعب الذي أرسل أبناؤه إلى ميادين القتال، وندرت في أعمدتها الأخبار السياسية، وظهرت الأخبار العسكرة بعد أن مرت على الرقابة، قل اهتمام الجمهور بالأخبار الاجتماعية والأدبية، واضطرت الصحف إلى استبدالها بالمقالات التوجيهية والتعليقات على البلاغات الرسمية.

وكي تسير الصحف اهتمام الرأي العام بالحرب، أوفدت مراسلين حربيين إلى كافة جهات القتال لاستقاء المعلومات، عما يعانيه المحاربين من آلام وما يقومون به من أعمال حربية مجيدة ورسم صورة صادقة عن الحياة في الجبهة ورواية تفاصيل المعارك.

ولم تصر أية حكومة محاربة في إدراك أهمية الدعاية الداخلية. وكانت كل منها تظن أن لدى حكومة العدو دعاية أفضل من دعايتها. ولم

تقتصر دعاية الدول المحاربة على جبهتها الداخلية، بل امتدت إلى الدول المحايدة، حيث كانت تمول الصحف التي تدعو لها بسخاء. وهذا ما قامت به الدعاية الإنجليزية في كل من سويسرا ودول اسكندنافيا.

وفضل تقدم الطيران تمكن الطيارون من أن يلقوا وسط خطوط العدو بكميات كبيرة من النشرات والصحف المطبوعة.

وأقبل كل المحاربين على استخدام هذه الوسيلة.

وكانت ألمانيا أشد الدول المتحاربة احتياجًا للدعاية لأنها كانت تحتل دولًا عديدة. وكان يتعين عليها البطش بكل مقاومة لها. ولذا اضطرت إلى إنشاء عدد من الصحف في البلاد المحتلة لخدمة أغراضها السياسية والحربية.

٥- في الولايات المتحدة

وفي خلال السنوات الثلاثة الأولى من الحرب العظمة، وقفت الولايات المتحدة الأمريكية موقف المتفرجة فقط كدولة محايدة. وانتهزت الصحافة الأمريكية هذه الفرصة فوسعت من نشاطها ونفقاتها، بسبب إقبال الدول الأوربية على المنتجات الأمريكية. وكان الشعب الأمريكي ذاته يهتم بمتابعة أخبار الحرب القائمة في العالم القديم. حيث كان كل أسرة أمريكية واحد على الأقل في أوربا المتحاربة.

وعلى الرغم من قوة الدعاية الألمانية، دخلت أمريكا الحرب بعد مضي ثلاث سنوات من إعلانها. ولما كان للصحافة شأن كبير في هذه البلاد، سارعت الحكومة إليها تشرح الدوافع التي اضطرت إلى دخول الحرب، محاولة كسب المترددين، وبث الروح العسكرية.

ولم تجد الحكومة نفسها في حاجة إلى سن قوانين للحجر على الصحافة، اللهم إلا فرضها الرقابة على البرقيات. وبذلك ظلت الصحافة تتمتع بحريتها التامة.

الفصل الثاني

الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى.

كانت انتصار الحلفاء انتصارًا للحرية[٢١]. وبعد أ، وضعت الحرب أوزارها، ألغت الدول الغربية الكبرى الرقابة على الصحف، وأعادت العمل بقوانين الصحافة القديمة، التي تمنحها حريتها كاملة غير منقوصة، وأما الدول الجديدة التي نشأت بعد الحرب فإنها وعدت الصحف في دساتيرها بكثير من الحرية ومزيد من الاستقلال، واعترفت بمبدأ عدم إخضاعها لأن نوع من أنواع الرقابة. وأظهرت الدولة المغلوبة في الحرب حيال الصحافة نفس الميول والاتجاهات.

١- الصحافة في أمريكا وإنجلترا

سمح انتصار أمريكا وإنجلترا في الحرب الأولى باستكمال التطور الاقتصادي والاجتماعي للصحافة، في كل منهما إذ استأنفت السير في الطريق الذي كانت تسير فيه من قبل. وشمل هذا التطور الإعلانات والأخبار ورأس المال.

وفي أمريكا أصبح فن الإعلان علما من أهم العلوم، له مدارسه ومعامل أبحاثه ومكاتبه. واضطرت الصحف إلى أن تقدم للمعلنين كثيرًا من المزايا والتسهيلات.

---

[٢١] لو كان الأستاذ جورج فيل على قيد الحياة لأبدى للقراء رأيه في حلف إنجلترا وفرنسا وإسرائيل الغادر ضد مصر وأثره هذا الحلف الآثم في حرية مصر والعرب جميعًا!

وظل الإعلان مرهوناً بكمية التوزيع من الصحف. ولكي تزيد الصحف من توزيعها كانت تحرص على نشر الأخبار المثيرة التي تمس العواطف الإنسانية والفضائح والمسائل الجنسية.

وإلى جوار ذلك كان الشعب الأمريكي يهتم بمعرفة تفاصيل الحوادث اليومية. ولهذا كان الرئيس الأمريكي كوليدج يعقد مؤتمرات صحفية في البيت الأبيض يدعى إليها جميع الصحفيين حيث يدلي إليهم بأخبار الدولة[٢٢].

ولم يدخر الصحفيون وسعاً في الحصول على الإعلانات المالية[٢٣] ذات الدخل المجزى.

وفيما بين سنتي ١٩٢٢، ١٩٢٨ ساد جو الصحافة في إنجلترا نوع من التكتلات، كما حدث في أمريكا. وبرزت من بينها ثلاث مجموعات. كانت المجموعة الأولى تخضع للورد روزرمير وريث لورد نورثكليف، وخضعت الثانية للورد بيفربروك. ولم يكن ثمة تنافس بين هذين الرجلين، لأن المصالح المشتركة كانت تربط بينهما. وأما المجموعة الثالثة فكانت تخضع لأخوان برى Berry. الذين تحاشوا الخوض في أمور السياسة. وكانوا– قبل كل شيء– رجال أعمال، وبدئوا قبل الحرب بالاهتمام بصحف الإعلان والصحف التجارية. وتمكنوا في سنة ١٩٢٧ من شراء مائة وعشرين صحيفة من صحف المجموعة الأولى الخاضعة للورد روزرمير.

---

[٢٢] لا زال هذا التقليد معمولاً به حتى يومنا هذا.

[٢٣] الاعلانات المالية هي نشر تقارير مجالس إدارات الشركات وميزانياتها.

وبالرغم من هذه التكتلات نجحت التيمس في الاحتفاظ باستقلالها. ولكي تحول دون وضع يد أحد عليها، أدخلت تعديلات في قانونها النظامي، نصت على إخضاع شراء أسهمها لموافقة هيئة الأشراف التي حرص على أن يكون من بين أعضائها قاضي القضاة ورئيس الجمعية الملكية ومدير جامعة أكسفورد ومحافظ بنك إنجلترا [٢٤]وبذلك ظلت التيمس الصحيفة الجادة الكبرى، التي تعبر أصدق التعبير عن رأي الطبقات الممتازة في الشعب. وحافظت على تقليدها، في نشر المقالات، في الوقت الذي أخذت الصحف الأخرى تهجر هذا التقليد شيئاً فشيئاً.

وبينما كانت "نيوز كرونيكل" لسان حال حزب الأحرار، كانت "ديلي هيرالد" لسان حال لحزب العمال. وأما الصحافة الشعبية الحقيقية، فقد ظلت تسيطر عليها "ديلي ميل" التي كانت توزع ١,٨٤٠,٠٠٠ نسخة، "وديلي أكسبريس" التي كانت توزيع ١,٦٨٠,٠٠٠ نسخة يومياً[٢٥]. وعاشت الصحف الإقليمية مثل "مانشستر جارديان" و "سكوتسمان" وعرفت كيف تقاوم التكتلات الصحفية في لندن، وتحافظ على مستواها، وتحتفظ بقرائها.

٢ – الصحافة في فرنسا وألمانيا

أن التكتلات الصحفية التي حدثت في أمريكا وإنجلترا بعد الحرب لم تحدث في فرنسا إلا على نطاق ضيق جداً. فيما عدا وكالة (هافاس)

(٢٤) ضم أعضاء جدد إلى هذه الهيئة في السنوات الأخيرة.

(٢٥) توزع الآن نحو ٤ ملايين نسخة يوميًا.

للأنباء التي أنشأت لها فرعاً للإعلان. وكانت صحف باريس تعتمد على الإعلانات مثل صحف لندن، ونيويورك، ولذا اضطرت إلى زيادة عدد صفحاتها، وإن لم تصل إلى عدد الصفحات الذي وصلت إليه الصحف الأمريكية والإنجليزية.

وعملت الصحف الفرنسية على إغراء قرائها بشتى الوسائل فنظمت لهم مسابقات ومنحتهم هدايا عينية ونقدية.. وهنا بدأت الصحف الإخبارية والمثيرة في الازدهار.

وبالرغم من نجاح الصحافة الإخبارية فقد استمرت صحافة الرأي في الظهور بتأييد الأحزاب التي تنطق بلسانها، غير أن توزيعها كان ضعيفاً، مما جعل المعلنين يعرضون عن نشر إعلاناتهم فيها.

وأما الصحافة الإقليمية التي جمعت بين الخبر والرأي فقد احتفظت بقوتها بالرغم من الجهد الذي بذلته الصحف الباريسية للقضاء عليها.

وفي ألمانيا المهزومة فقدت الصحافة شعبيتها، لأن الجمهور ظن أنها كانت تخفي عنه الحقائق، وتمده بالأكاذيب، وكل أنواع الختل والخداع. وكانت سنوات التضخم المالي من أسوأ السنين التي مرت بالصحافة الألمانية، فقد انتهز كبار رجال الصناعة هذه الفرصة واشتروا بعض الصحف كي يدعموا بها نفوذهم السياسي، في السيطرة على هذه الدولة المنحلة. ومن أهم هؤلاء الرجال (هوجنبرج) الذي مد سلطانه على كتلة صحفية تتكون من ١٦٠٠ جريدة ومجلة، أي ما يقرب من

عشر عدد الصحف الألمانية التي كانت تصدر في سنة ١٩٢٨.

٣- البطش بحرية الصحف

وضع قيام الحكم الدكتاتوري في ايطاليا، حدا للحرية التي كانت تتمتع بها الصحافة الايطالية. ولقد كان موسوليني كنابليون ومترنيخ حين طبع صحف ايطاليا بطابعه الخاص، وأرغمها على الاستجابة إلى رغباته.

وفي سنة **١٩٣٣** سار هتلر على نهج موسوليني. فكمم الصحافة حتى يتابع حربه ضد اليهود، وبعد انتصاره في هذه المعركة شرع في اتخاذ تدابير صحفية بنائية سريعة وأنشأ وزارة للدعاية أسندها غلى جوبلز.

وفي **٤** أكتوبر سنة **١٩٣٣** أصدر قانوناً بتنظيم الصحافة وأوجب عليها الدفاع عن السياسة الوطنية الاشتراكية وأن يكون رائدها في كل ما تنشر: "ألمانيا فوق الجميع"..

٤- الصحافة الروسية في العهدين القيصري والسوفيتي

عاشت الصحافة في روسيا منذ نشأتها في جو من التزمت والكبت والتضييق، واحتفظت جميع الحكومات الروسية بسيطرتها التامة على الصحف حتى انهيار العهد القيصري.

وتمتعت الصحافة الروسية بقدر من الحرية لفترة وجيزة بعد قيام ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧. وفي تلك المدة صدرت عدة صحف اشتراكية، ولكن الأمور تغيرت بقيام الثورة البلشفية.

وفي تلك المدة صدرت عدة صحف اشتراكية، وبدأت هذه الثورة بأن منحت الصحف حريتها كاملة غير منقوصة. ولكن سرعان ما أثيرت أمور هذه الحرية بعد ثلاثة أسابيع في مجلس السوفييت الأعلى. وصرح تروتسكي: "بأن الصحافة تعتبر ملكاً خاصاً للحكومة أثناء الحرب الأهلية". وطلب لينين إلغاء الصحافة البورجوازية وصدر بالفعل مرسوم في يناير سنة ١٩١٨ قضى على هذه الصحف وقضاء تاماً. وبعد ستة أشهر من هذا التاريخ لقيت الصحف الاشتراكية المعارضة نفس المصير.

وفي ذلك الوقت بدأ عهد الصحف الشيوعية الخالصة.

وأصبحت الصحافة ملكاً للدولة وهي مسئولة عن تموينها، مادياً، ومعنوياً، وانحصرت مهمة الصحافة في توجيه الرأي العام وإقناع العمال والفلاحين بالمبادئ الشيوعية. وأهم هذه الصحف برافدا التي اختصت بمعالجة المسائل السياسية، و (استفستيا)، التي تخصصت في الأخبار.

وواصل الشيوعيون سيطرتهم على الشعوب الروسية، فأنشئوا لكل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفيتي صحفاً تصدر بلغتها، حتى تيسر لكل مواطن أن يفهم بلغة دولته الخاصة المبادئ الشيوعية.

الفصل الثالث

تطور الصحافة في القرن العشرين

إذا كانت الاختراعات الآلية قد أثرت على شكل الصحف، فإن التطورات الاجتماعية، أثرت على حياة الصحفيين الذين أحسوا بضرورة التكتل، لحماية مصالحهم وأصبحت مهنة الصحفي موضوعاً من موضوعات الدراسة المنظمة.

١- الحركة النقابية

لقد ترتب على تطور الصحافة الآلي. إنشاء عدة نقابات لحماية مصالح العاملين في الميدان الصحفي، ومنها نقابات أصحاب الصحف، ونقابات المحررين، ونقابات العمال، التي أنشئت في كافة أنحاء العالم ومنها النقابات التي تضم أصحاب الرأي السياسي الواحد، أو العقيدة الدينية الواحدة، فرأينا اتحاد الصحافة الكاثوليكية، واتحاد الصحافة الاشتراكية، وهناك نقابات تضم ممثلي فئة خاصة من المعاونين في الصحافة مثل نقابة رؤساء التحرير، ونقابة سكرتيري التحرير، ونقابة المخبرين.

٢- مدارس الصحافة

لم تنشأ مدارس الصحافة إلا منذ عهد قريب قبيل أوائل القرن

العشرين. وفتحت أولاها أبوابها بباريس في سنة ١٨٩٩.

وفي سنة ١٩٠٠ اندمجت هذه المدرسة في معهد الدراسات الاجتماعية العليا. وقد ضمت منذ نشأتها كثيراً من الصحافيين والمؤرخين. لذلك كانت تجمع دائماً بين الدراسات العلمية، وأعدت فيها عدة رسائل كان أغلبها عن تاريخ الصحافة. ومن الملاحظ أن عدد طلابها من الأجانب، أكثر دائماً من عدد زملائهم، من الفرنسيين. وعاد الكثيرون منهم بعد أن أتموا دراستهم، ليحرروا في صحف بلادهم.

وقد انتشرت مدارس الصحافة بكثرة في كل من الولايات المتحدة وألمانيا. كما تضمنت برامج الدراسة في بعض الجامعات الأمريكية، منهاجاً خاصاً بتاريخ الصحافة، وفي سنة ١٩٠٨أنشئت في كولومبيا (بولاية ميسوري) أول مدرسة كاملة للصحافة ومدة الدراسة بها أربع سنوات يحصل الطالب بعدها على أجازة البكالوريوس في علم الصحافة. وقد أسس هذه المدرسة وصار عميداً لها ولتر ويليامز الذي كان أستاذاً بجامعة ميسوري، وفي نفس الوقت اتفق بوليتزر مع جامعة كولومبيا بنيويورك على أنشاء مدرسة جديدة للصحافة. وقد نشأت عدة مدارس أخرى للصحافة بين سنتي ١٩١٠، ١٩١٧.

وظهرت بعد الحرب العالمية الأولى عدة مدارس للصحافة، تميزت بالطابع العملي والنظري. فكان على الطلاب أن يتعلموا كيف يجمعون الأخبار وكيف يختصرونها ويصوغونها في أسلوب واضح جذاب يرضى القارئ، وأن يتقدموا بأنفسهم إلى الشخصيات التي يمكن الحصول منها

على أحاديث ذات فائدة. وغالباً ما كانت تهيأ المدرسة بحيث تصبح صورة صادقة لإدارة الصحيفة. فتمارس فيها أدق التفاصيل عن استعمال آلات اللينوتيب ومطابع الروتاتيف، واستخدام التليفون واللاسلكي.

وفي سنة ١٩٢٧ كان يوجد في أمريكا ٢٣٠ جامعة وكلية ندرس الصحافة، من بينها ٥٥ جامعة تضم كل منها مدرسة كاملة، أو قسماً جامعياً للتخصص في الصحافة.

وفي ألمانيا كانت دراسة الصحافة تختلف كل الاختلاف عنها في أمريكا. وبالرغم من أن ألمانيا كانت تحاول تنظيم حياتها العملية على الطريقة الأمريكية، إلا أنها احتفظت دائماً بطابعها، في حب البحث النظري، والميل إليه. ولذلك ساد في "علم الصحافة" وأنشئت له كراسي الأستاذية والمعاهد حيث كانت تدرس علوم التاريخ والاجتماع وعلم النفس الجماعي. وبعد هزيمة ألمانيا كلفت جامعة برلين في سنة ١٩١٩ الصحفي جولنجير بإنشاء قسم خاص للدراسة النظرية، والعملية للصحافة.

وبعد ذلك انشأ في العاصمة الألمانية معهد كامل للصحافة يديره أستاذ ذو كرسي بالجامعة وهو دوفيفات. وكانت الدراسة في هذا المعهد تختلف عن كل الدراسات الصحيفة في أمريكا وإنجلترا ثم توالي أنشاء المعاهد الصحفية في كثير من الجامعات والمدن الألمانية، وصار علم الصحافة من العلوم المعترف بها في ألمانيا.

وأما في انجلترا فإن الصحافة كانت تجذب إليها منذ سنوات طويلة

خيرة رجال العلم، من ذوى المكانة الأدبية الرفيعة، ولهذا بدت مدارس الصحافة زمناً طويلاً غير ذات فائدة، ولكن حدث بعد الحرب أن تقدم بعض الشبان المسرحين من الجندية إلى جامعة لندن، يطلبون تنظيم دروس في الصحافة لهم. وقد أيدتهم في طلبهم، نقابات الصحفيين الإنجليز، ووعدتهم وزارة العمل بتحقيق مطلبهم. فاضطر مجلس الجامعة إلى افتتاح هذه الدراسة في أكتوبر من سنة ١٩١٩ وافتتحت بعد ذلك في بعض المدن الإنجليزية، أما مدارس فنية للصحافة وأما دراسات جامعية للإعداد الصحفي.

وهناك دول أخرى، كثيرة قامت بمحاولات من هذا القبيل. وقد تمت الخطوات الأولى فيها عن طريق الحكومات كما في تشيكو سلوفاكيا، وعن طريق الجامعات كما في زيورخ، وعن طريق رابطات الصحافة كما في بلجيكا، وفي روسيا قامت الحكومة السوفيتية بإنشاء معاهد لإعداد الصحفيين.

وفي ايطاليا قامت الكلية الفاشستية للعلوم السياسية في بيروز بإدخال مادة تاريخ الصحافة، ومادة تشريعات الصحافة في برامج دراساتها.

وقد نشأت مدارس الصحافة خارج أوروبا في شنغهاي، وفي المستعمرات الإنجليزية مثل نيوزيلاندا وكوينزلاند، والآن هل ساهمت هذه المدارس والمعاهد في إعداد الصحفي المثالي القادر على إمتاع الجمهور؟

يرد الأمريكيون على هذا السؤال بالإيجاب. وأما في فرنسا وفي

إنجلترا فإن محترفي المهنة يشكون كثيراً في نتائج هذه المدارس، ويقولون أن الصحافة ملكة طبيعية في الإنسان، لا يستطيع الحصول عليها بالدراسة المنظمة.

٣- الاتحادات الصحفية الدولية

كانت النتيجة الطبيعية لتكوين الاتحادات الصحفية القومية، إن تكونت الاتحادات الصحفية الدولية. وقد نشأت هذه الفكرة أول ما نشأت في مخيلة أثنين من الصحفيين البلجيكيين في مدينة انفرس، حيث قاما بالدعوة إلى عقد مؤتمر للصحافة في هذه المدينة في سنة ١٨٩٤، تحت رياسة بيرنارت السياسي البلجيكي المعروف، ووافق المؤتمر على مشروع بإنشاء اتحاد دولي للصحافة، ووضعت القوانين الخاصة به في سنة ١٨٩٥، وواظب الاتحاد على عقد مؤتمرات سنوية، منها عشرة مؤتمرات كان يرأسها ويلهلم سنجر، أحد رجال الصحافة البارزين في فينا.

ونجحت هذه المؤتمرات بكسب كثير من الامتيازات للصحفيين، وخاصة تخفيض تكاليف البريد والبرق، واحترام مبدأ سر المهنة عند الشهادة، أمام القضاء، وقانون عقد العمل، والتعويض عند الفصل من المهنة، ولكن قيام الحرب العالمية في سنة ١٩١٤ قضى على هذه المنظمة.

وعادت الفكرة إلى الظهور من جديد بعد إقرار السلام على يد أثنين من الصحفيين الفرنسيين، هما جورج بوردون، وستيفن فالو فأنشأ في سنة

١٩٢٦ الاتحاد الدولي للصحفيين. وبلغ عدد الذين انضموا إليه ثلاثين ألف صحفي. ونجح هذا الاتحاد في وجوب الاعتراف بعقد العمل، وتحديد الحد الأدنى لأجر الصحفي، والتدخل في الخلاف بين المحرر والصحيفة التي يعمل فيها.

وعمل الاتحاد على إنشاء محكمة الشرف الدولية، وأعضاءها من الصحفيين، وقد تم افتتاحها في "لاهاي" (هولندا) في سبتمبر سنة ١٩٣١، واختصت بالنظر في النزاع الذي يقوم بين أصحاب الصحف والصحفيين.

ولقد اضطرت الاحتياجات الاقتصادية الصحافة إلى عقد عدة مؤتمرات دولية أخرى ومنها الاجتماع الذي عقده مندوبو وكالات الأنباء في جنيف في أغسطس سنة ١٩٢٦ ثم اجتماع خبراء الصحافة الذي عقد في مقر عصبة الأمم ومن أهمها مؤتمر كوبنهاجن الذي عقد في سنة ١٩٣٢ ومؤتمر مدريد في سنة ١٩٣٣.

ولقد اضطرت الاحتياجات الاقتصادية الصحافة إلى عقد عدة مؤتمرات دولية أخرى ومنها الاجتماع الذي عقده مندوبو وكالات الإنباء في جنيف في أغسطس سنة ١٩٢٦ ثم اجتماع خبراء الصحافة الذي عقد في مقر عصبة الأمم ومن أهمها مؤتمر كوبنهاجن الذي عقد في سنة ١٩٣٢ ومؤتمر مدريد في سنة ١٩٣٣.

ثم شرع الاتحاد الدولي للصحفيين في سنة ١٩٣٤ في دراسة المحاولات الأولى لإذاعة الأخبار الصحافية عن طريق الراديو. وكانت

الحكومة السوفيتية سباقة في استغلال هذه الوسيلة من وسائل الدعاية، للتأثير على الجماهير غير المتعلمة.

ولذلك قرر مؤتمر الاتحاد المنعقد في برلين في أكتوبر سنة ١٩٣٠ أنشاء مكتب دائم في بروكسل لهذه الصور الجديدة من صور الصحافة.

وإلى جانب هذه المؤتمرات الأوروبية كانت الصحافة الأنجلوسكسونية تعقد مؤتمراتها الخاصة، فعقدت أول مؤتمر لها في سان فرانسيسكو في سنة ١٩١٥. ونظراً لحالة الحرب اقتصر المؤتمر على ممثلي الصحف الأمريكية فقط. وعقد المؤتمر الثاني هونولولو في سنة ١٩٢١. وعقد الثالث وهو أهمها في جنيف في سنة ١٩٢٦. وقد ضم الصحفيين من جميع أنحاء العالم، ومنهم الصينيون واليابانيون إلى جانب زملائهم من أوروبا وأمريكا.

الفصل الرابع

الصحافة تعم العالم

من المعروف أن الحضارة الغربية هي التي أنشأت الصحافة الحديثة وأمدتها بقوتها، ولما كان نطاق هذه الحضارة ينبسط منذ خمسين عاماً على كل بلاد العالم، رأينا الصحافة تسير معها جنباً إلى جنب أينما حلت. ولكن بدلاً من أن تؤدي هذه الصحافة خدماتها للغرب، رأيناها تخلق روح المقاومة ضد سيطرة هذه الشعوب الأوروبية التي وفدت فأحدثت الاضطراب والبلبلة في حياه الشعوب الأسيوية والأفريقية، وحاولت القضاء على ما كان لديها من قديم العادات وأصيل التقاليد.

١- الصحافة في الشرق الأقصى والهند

ذكر فولتير أن الصحف نشأت في الصين منذ زمن سحيق، وفي العصور الوسطى ظهرت الدوريات الرسمية الخالصة، التي عرفت منها "نوفي لدي ريزدان" وكانت هذه الدورية مخصصة لحكام الأقاليم، وفي القرن السابع عشر ظهرت (جازيت دوبيكين) التي بيعت للجمهور ولو أنها كانت رسمية، ولم تبدأ الصحافة بمعنى الكلمة في الصين إلا في القرن التاسع عشر، وتحت تأثير النفوذ الأجنبي. وصدرت الصحف الأولى في مكاو المستعمرة البرتغالية، في الصين سنة ١٨١٧، وفي هونج كونج الجزيرة الإنجليزية في سنة ١٨٥٣، وفي الجزء الأوروبي من

شنغهاي ١٨٥٧ وصدرت أول جريدة يومية باللغة الصينية في هونج كونج سنة ١٨٥٤ وكان أسمها الجريدة للصين والخارج.

وبعد سنوات ظهرت في هونج كونج في سنة ١٨٦٧ جريدة "شينيز ميل" Chinese Mail وفي سنة ١٨٧٢ ظهرت جريدة "جورنال دوشنغهاي" Le Journal de Changhai وما زالت هذه الصحف جميعاً تصدر حتى يومنا هذا.

ولقد لقيت الصحافة الصينية كثيراً من المضايقات من الأباطرة الطغاة، قبل أن يصيبها النجاح والانتشار. ودل إحصاء سنة ١٩٢٦ على أنه كان يوجد في الصين ٥٥٠ صحيفة يومية و ١٥٤ مجلة اسبوعية و ٣٠٣ مجلات شهرية.

وأما اليابان فأنها ظلت أمداً طويلاً في عزلة عن العالم الخارجي ولذلك لم تكن بها غير منشورات رسمية توزع على كبار موظفي الدولة، وكانت تتضمن الأخبار التي يذيعها التجار الهولنديون المقيمون في جزيرة "ديشيما". ولما أرغمت الولايات المتحدة اليابان على فتح موانيها للتجارة اضطرت الحكومة اليابانية أثناء أزمة ١٨٦٨- ١٨٧٠ إلى أنشاء عدة صحف لنشر الأفكار والآراء التي قامت من أجلها تحارب الأحزاب القديمة، ولكنها منعت إصدار أية صحيفة قبل الحصول على ترخيص رسمي. وجملة القول كانت الصحافة اليابانية تخضع في سياستها للسلطة القائمة أو لإحدى الشخصيات الكبيرة أو لحزب قوى. ورغماً عن ذلك فأنها توسعت كثيراً حتى أنه في بداية القرن العشرين كان يوجد

في البلاد ١٠٠٠ صحيفة تصدر بانتظام منها ٥٠٠ جريدة يومية تباع بسعر زهيد، وتعتمد في تغطية نفقاتها على الإعلانات. على أن الصحافة اليابانية لم تكن تتمتع بحرية مطلقة بل كانت تشرف عليها الحكومة إشرافا تاماً.

وفوق ذلك كانت توجد صحف انجليزية في اليابان. أهمها "جابان تايمز" Japan Times و"وجابان ميل"Japan mail و"جابان كرونيكل" Japan chronicle

كما كانت تصدر فيها صحيفة أمريكية، هي صحيفة "جابان ادفرتايزر" Japan Advertiser التي كانت غنية بأخبارها، مليئة بالمقالات المثيرة، زاخرة بأصدق الأنباء الاجتماعية.

أما في الهند فقد ظهرت في مدنها الكبرى منذ زمن طويل صحف تصدر بلغتين يحررها انجليز أو هنود من ذوي الثقافة الإنجليزية.

وكانت توجد إلى جانب الصحف الإنجليزية صحف وطنية تصدر بلغتين يحررها إنجليز أو هنود من ذوي الثقافة الإنجليزية.

وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت الحركة الوطنية الهندية في الأقاليم تطالب بالحكم الذاتي والاستقلال التام وكان من الطبيعي أن تؤثر هذه الحركة على الصحف فصدرت منها في المدن الكبرى صحف لعبت دوراً خطيراً في تاريخ البلاد وأزرت الحركة الوطنية وكانت لسانها الصادق بين جماهير الشعب الهندي ومختلف طوائفه. وتذكر منها صحيفة

"مدارس ميل" التي كانت تصدر في مدارس، وصحيفة "انجليشمان" Englishman التي كانت تصدر في كلكتا. ولو أن هذه الأخيرة كانت تخفي بين سطورها الروح الاستعمارية الإنجليزية.

وفي الهند الصينية الفرنسية مرت الصحافة بالدور الذي مرت به الصحافة الهندية وكانت تصدر فيها صحف موالية لفرنيا، وصحف ضد فرنسا، وصحف أخرى تدعو للشيوعية وتؤيدها موسكو.

٢- الصحافة الإسلامية

كان للصحافة الإسلامية طابع خاص، لأن الديانة الإسلامية بالنسبة لمعتنقيها تمثل وطناً روحياً كبيراً تسود فيه روح واحدة وفكرة واحدة. ولكن تنوع البلاد وتباين نظمها السياسية ومصالحها القومية أدخل في هذا الاتحاد الروحي، بين الشعوب الإسلامية فروقاً عديدة.

ومنذ نصف قرن حدث انفصال طبيعي بين الصحافة التركية والصحافة العربية. ففي تركيا والبلاد الشرقية ذات الطابع الأوروبي، حيث توجد أغلبية مسيحية ظهرت صحف يديرها بعض الصحفيين المسيحيين، والذين تتلمذ على أيديهم كثيرون.

وقد صرح سلاطين آل عثمان بصدور صحف شبه رسمية. وفي عهد السلطان عبد الحميد (١٨٧٦– ١٩٠٨) اشتدت قبضة الحكومة على الصحافة. وبالرغم من ذلك كانت جريدة "صباح" التي يصدرها أحد الارمنيين الأتراك تنشر مقالات شيقة وأخباراً دقيقة. كما كانت تصدر

أيضاً جريدة "سيرفيتفرينون" ServetFrenon ويحررها أحمد حسن بك عميد الصحفيين الأتراك بلا منازع، وهو الذي ظل يكتب فيها حتى سنة ١٩٣٠.

وأصدر بعض الوطنيين الذين فروا من وجه السلطان عبد الحميد إلى الخارج صحفاً ثورية في أوطانهم الجديدة، ومنها جريدة "ميشفيريت" Mechveret في باريس ويديرها أحمد رضا، الذي كان يتميز بشعبية محبوبة بين الجماهير.

وبعد سقوط السلطان عبد الحميد في سنة ١٩٠٨ صدرت صحف ومجلات كثيرة قدر البعض عددها بألف صحيفة. ولكن سرعان ما صدر قانون ١٩٠٩ الذي وضع شروطاً قاسية لإصدار الصحف. وقد حاولت جريدة "سيرليسي" serlessi أي الحرية مقاومة هذا القانون، ولكن الشباب التركي حطم الصحف المعارضة، حتى ظل عددها ينكمش، واقتصر على بعض الصحف المتواضعة التي كانت تنشر في الخارج.

وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى، وانهيار الإمبراطورية العثمانية، وانتصار مصطفى كمال زالت عدة صحف تركية من الوجود. وقد تمتعت الصحف التركية التي بقيت بعد الانتصار على اليونان بفترة وجيزة من الحرية. وكان فتحي بك أحد زعماء الحركة الكمالية يشجع الصحف على استعمال الوسائل الفنية الجديدة في الطباعة.

ثم انتهزت الحكومة التركية ثورة الأكراد فوضعت حداً لحرية

الصحافة، فعطلت سبع صحف وقبضت على عدد من الصحفيين بتهمة الخيانة العظمى وحكمت عليهم بالإعدام، ولم ينقذهم من الموت غير عفو مصطفى كمال عنهم، وفي سنة ١٩٢٥، كانت توجد في تركيا ٢١٨ صحيفة ومجلة، منها ٩٨ تطبع في استانبول و١٢٠ في أنقرة. ومن بين هذا العدد كانت تصدر ٣٦ صحيفة ومجلة بلغة أجنبية. وفي سنة ١٩٣٠ أراد فتحي بك تكوين حزب جديد وهو (حزب الأحرار). وكان ظهور هذا الحزب سبباً في ظهور الصحافة المعارضة ولكن هذا الحزب زال بعد فترة قصيرة، وزالت معه الصحافة المعارضة بعد أن ابتدعت لونا جديداً في حياة الصحافة التركية المكتوبة.

وفي إيران لاقت الصحف ألواناً من الاضطهاد والعسف. ولكنها على الرغم من ذلك كانت تنادي بالإصلاح، وتقاوم روح التعصب الديني وتؤيد السياسة الوطنية المتطرفة.

وأما الصحافة العربية فقد ولد في مصر منذ البداية. وأنشأ محمد علي في سنة ١٨٢٢ في القاهرة جريدة رسمية. وفي عهد محمد سعيد والخديو إسماعيل، أصدر بعض السوريين الفارين من الاضطهاد التركي في سوريا ولبنان، عدة صحف وبالرغم من أن أغلب هؤلاء كانوا من المسيحيين ولغتهم الأصلية هي اللغة العربية، فقد عرفوا كيف يخاطبون الشعوب الإسلامية.

وكان لوقوع الحوادث الضخمة في المدة من١٨٦٩ (فتح قناة السويس) و ١٨٧٧ (حرب القرم) أثر في إيقاظ الوعي السياسي في

الشعب المصري. وفي ذلك الوقت كان جمال الدين الأفغاني المعروف لدى الأوساط الكمالية في مصر يشجع أصدقاءه على أنشاء صحف جديدة، تمتعت بحرية كاملة في عهدي إسماعيل وتوفيق.

وأصدر بعض السوريين جريدة (الأهرام) بالإسكندرية[٢٦] وأصدر لفيف من أصدقاء إنجلترا جريدة المقطم وفي سنة ١٨٩٠ صدرت جريدة (المؤيد)[٢٧]، التي كانت تعارض الاستعمار والنفوذ الأجنبي، وتمكنت من حجب نفوذ (الأهرام والمقطم) وكانت غالبية الصحف الوطنية المصرية تعارض الإنجليز، وإلى جانب الصحفيين السوريين واللبنانيين كان يوجد بعض الصحفيين الإسرائيليين والأرمن[٢٨].

وفي سنة ١٨٩٩ كانت تصدر بانتظام في مصر ١٦٨ صحيفة

وفي سنة ١٩٠٩ أعادت الحكومة المصرية العمل بقانون ١٨٨١ المنقول عن قانون الصحافة الفرنسية الذي صدر في عهد نابليون الثالث، وكان ذلك أثر احتلال ايطاليا لطرابلس وفرنسا لمراكش وطرد الأتراك من مقدونيا. و قد خشي الاستعمار من رد فعل هذه الأحداث في مصر فاضطر للعمل بهذا القانون، لوضع حد لثورة الصحافة الإسلامية.

---

(٢٦) المعروف أن سليم وبشارة نقلا اللذان أصدرا الأهرام ١٨٧٥ من أصل لبناني ومسقط رأسيهما بلدة كفرشيما اللبنانية.

(٢٧) أصدرها الشيخ على يوسف.

(٢٨) أغفل المؤلف الإشارة إلى أسرة زيدان اللبنانية الأصل التي أسست دار الهلال في سنة ١٨٩٢.

وقد وجد أيضاً في تونس ومراكش[٢٩] اللتين خضعتا حديثاً للنفوذ الأوروبي نفس الطابع الإسلامي العام، المشوب بالخوف من الأجانب. وفي البلاد ظهرت صحف معارضة متشبعة بروح المقاومة المصرية.

وفي أول أبريل **١٩٢٠** تعاونت الصحف الثلاث التونسية العربية والحزب الدستوري التونسي مع الحزب الشيوعي الفرنسي لمقاومة احتلال فرنسا لتونس، إلا أن الاحتلال الفرنسي حل الحزب الدستوري التونسي.

ولم يقتصر نشاط المهاجرين السوريين واللبنانيين في مصر على إصدار الصحف فحسب، بل وصل بهم إلى أنشاء عدة صحف في بلادهم في عهد الوصاية الفرنسية، التي أعطت الصحافة قدراً من الحرية. وقد أبدى أحد المراقبين ملاحظة ساخرة سنة **١٩٣٠** إذ قال أنه يوجد في الجمهورية اللبنانية وعدد سكانها **٥٠٠** ألف نسمة، **٤٧** صحيفة تصدر بانتظام، منها **٢١** جريدة يومية!!.

وهنا استطرد المؤلف فذكر أنه لا يستطيع التحدث تفصيلاً عن الصحافة ذات اللون الغربي والتي تصدر في أمريكا اللاتينية، واكتفي بالقول أن صحف أمريكا الجنوبية نمت وترعرعت مثل صحف أمريكا الشمالية. وصدرت في ريودي جانيرو وبيونس ايرس ومدن أخرى صحف تنافس أكبر صحف نيويورك وباريس.

---

[٢٩] أغفل المؤلف عمدًا ذكر الجزائر لأن فرنسا كانت تزعم أنها جزء من أراضيها.

٣- المجلات الخاصة

كانت الصحافة في القرن العشرين قد احتاجت آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، وطبقت فيها نظرية تقسيم العمل مثل الصناعة. وإلى جانب الصحف السياسية والإخبارية ظهرت صحف الطوائف الدينية الخاصة، وأهمها الصحافة الكاثوليكية.

وكانت للبروتستنتين صحافة هامة نشأت في أمريكا سنة ١٨٠٨، واستخدمت نفس نظم الصحافة الأمريكية في توسعها، وما زالت هذه الصحف قائمة حتى اليوم. وقد تطلب تطور الحياة الفكرية على مدى الزمن ظهور صحف أدبية، كما صارت للرياضيين صحفهم الخاصة.

وأصدرت دوائر المال صحفاً خاصة يحررها فنيون متخصصون في الشئون المالية والاقتصادية. وظهرت مع الزمن صحف مالية يومية أهمها صحيفة "فيناشيال تايمز" Financial Times التي تصدر في لندن، وصحيفة "لانفورماسيون" L' Information التي تصدر في باريس. وظهرت غير ذلك مئات من الصحف التعاونية والفنية.

كما ظهرت صحف تهتم بمختلف الأعمار. وأخذ الشباب الجامعي، مثلاً، يحرر ويقرأ صحف الطلاب. وبلغ عدد الصحف التي تصدرها المدارس والكليات في الولايات المتحدة في سنة ١٨٨٠ ما يزيد على ٢٢٠ صحيفة. وذكر أحد رجال الإحصاء البلجيكيين إن عدد صحف الشباب بلغ في أوروبا في سنة ١٨٩٠حوالي ١٠٧ صحف. ومن

البديهي أن عدد هذه الصحف أخذ يزداد بل يتضاعف منذ ذلك الحين.

وقد ترتب على وجود هذا الفيض من الصحف والمجلات الخاصة أن أفردت الصحف اليومية الكبرى بين أعمدتها أبواباً تعالج كافة الموضوعات فخصصت صفحات للرياضة والآداب والعلوم والفنون لإرضاء فضول الجمهور الذي يرغب في استبدال الكتب بالصحف.

الفصل الخامس

القيمة المعنوية للصحافة

١- النقد الأدبي

قام الجدل منذ أن نشأت الصحف، حول فائدتها، وصدق روايتها، وقيمتها المعنوية. وكثيرًا ما يتجدد هذا الجدل، ويزداد عنفًا كلما بلغت الصحف أوج قوتها. وذلك لأن أسلوب الأدب. وكان لا مناص من أن يكون للصحافة أعداء وأصدقاء بعد أن تحررت تمامًا في إنجلترا وفرنسا وألمانيا.

أما سبب النقد فمرجعه إلى أن الصحفي كان يحرر مقالاته وأخباره في عجلة غير مبال بتحري الحقائق قبل أن تنشر في الصحيفة.

٢- الرشوة

يقولون أن الصحافة عبدة المال. ولما كانت الإعلانات تلعب دورًا هامًا في حياة الجريدة كان عليها نتيجة لذلك أن تخضع للنظم التجارية. ومن أجل ذلك خشي البعض أن يتسرب الطابع التجاري إلى كافة أقسام الجريدة.

ومن المؤكد أن بعض الحكومات ورجال المال لا يتورعون عن

محاولة رشوة الصحف رغبة في توجيه سياستها توجيهًا معينًا أو للدفاع بالباطل عن قضية من القضايا أو تشويه سمعة الخصوم، والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ [٣٠].

ولم يغفل رجال الأدب عن الاهتمام بهذا الموضوع فألفوا عنه عدة كتب. ومن أهمها كتاب Le Reporter "المخبر الصحفي" الذي ألفه بول برولا في سنة ١٨٩٨، وأهداه إلى أميل زولا الأديب الفرنسي المعروف، وتدور حوادث قصة هذا الكتاب في دار أحدى الصحف، وأشار فيها المؤلف إلى اضطرار نفر من المثقفين للعمل في الصحافة والتجائهم إلى وسائل غير نظيفة لكسب العيش.

وبعد الحرب العالمية الأولى بلغت الصحافة ذروتها في القوة ووجهت إليها عدة اتهامات بالرشوة، لأن بعضًا منهم كان يخدم مصالح الدول الأجنبية أو يناهضها.

٣- مساوئ الصحافة

على الرغم من أن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر جنة الصحافة، فإننا نجدها في نفس الوقت البلد المثالي لحري النقد الذي تتولاه الطبقة المفكرة المستقلة. وكثيرًا ما تغفل نشر أخبار هامة أرضاء لمصالح أصحاب المال الذي يديرونها أو إرضاء للمعلنين، وذلك رغبة منها في

---

[٣٠] أن آخر مثال لذلك هس الرشوة التي قدمها مدير شركة قناة السويس المنحلة لبعض الصحف الأوروبية لتهاجم مصر بعد تأميم الشركة في ٢٦ يوليو ١٩٥٦.

ضمان حياة رغيدة. ولذا لا يمكننا الجزم بأن صحافة أمريكا مستقلة تمامًا. غير أننا نجد صحف الأقاليم مازالت تتمتع بحريتها من القيود التي ترسف في أغلالها صحف المدن، إذ أنها لا تخضع لرجال المال أو التكتلات الصحفية.

ومن هنا كان من السهل علينا أن نفهم كيف أنه يجب على الصحفي في نيويورك أن يشوه الحقائق ويكذب ويقذف ويبيع نفسه حتى يكسب قوته اليومي.

وفي أوربا تسير الصحافة في نفس الطريق الذي تسير فيه الصحف الأمريكية، وأصبحت تخضع لنفوذ رجال المال والرأسماليين الذين يفرضون إرادتهم عليها ويريدون توجيه سياستها، وكان لكبار رجال المال من اليهود دور خطير في هذا الشأن.

ولم تنج انجلترا نفسها من هذا الخطر فقد سيطر الرأسماليون على صحافتها، وبالتالي تمت لهم السيطرة على النواحي الاقتصادية والسياسية فيها.

٤- فضل الصحافة

أن ما ذكر عن الصحافة في الفصل السابق له ظل من الحقيقة ولكنه لا يشمل الحقائق كلها. ففي البلاد الحرة تسند الصحافة مختلف الأحزاب وتدافع عن المصالح المتعارضة وما تخفيه أحداها، تجده الأخرى صالحًا للنشر. وقد أدرك رجال المال الذين يعملون في الصحافة بأنه من الضروري إطلاق حرية التحرير في كل صحيفة كبرى ضمانًا لبقاء قرائها.

ولوحظ أن التأثير على الجمهور لا يتأتى عن طريق الصحف الكبيرة الواسعة الانتشار بل تؤثر فيه أيضًا الصحف الإقليمية.

ففي أمريكا توجد ١٢ ألف مجلة أو جريدة إقليمية ساهمت بنجاح كبير في نقد الديمقراطية هناك.

وفي أوربا لعبت الصحف الإقليمية نفس الدور الذي لعبته زميلاتها الأمريكية، وكان لها شأن يذكر في المعارك الانتخابية، ومازال قائمًا حتى اليوم.

وإذا كان التطور الاجتماعي قد زاد في قوة الرأسمالية، فإنه زاد في الوقت نفسه في قوة الصحافة، وكان لانتشار التعليقات الصحفية فضل في السمو بهذه المهنة، وزادت في مسئولية الصحف إزاء القراء. وقد شمل التطور نظام العمل داخل الصحف نفسها فانفصل القسم التجاري بها عن أقسام التحرير لتفادي تأثير القسم الأول على الثاني.

ووصل التطور إلى معاهد الصحافة فاهتمت اهتمامًا كبيرًا بأعداد طلابها ثقافيًا وعلميًا ومعنويًا. كما وضعت عدة نقابات صحفية قوانين لتنظيم السلوك الصحفي وأهمها القانون الذي أذاعته الجمعية الأمريكية لناشري الصحف في سنة ١٩٢٣ [٣١].

وهنا ظهر الصحفيون الذين رفعتهم أعمالهم الباهرة إلى مصاف الأبطال. وقد لقي بعض المراسلين الحربيين حتفهم في ميدان القتال.

---

[٣١] أنشئت نقابة الصحفيين المصريين في سنة ١٩٤١.

وجملة القول أنه على الرغم من أن عددًا كبيرًا عمل على تشويه مهنة الصحافة فأنها كانت ولا تزال من أمتع المهن في العالم.

الصحافة المصرية في مصر الفرعونية:

كتب كثير من المؤرخين في تاريخ الصحافة. واختلفوا جميعًا حول المكان الأصيل الذي نبتت فيه أول مرة، وسايرت تطور البشرية وتقدمها، من البدائية إلى التحضر. ولكن الذي أصبح لاشك فيه هو أن مصر عرفت الصحافة حق المعرفة منذ سبعة وثلاثين قرنًا[٣٢].

وقد عرف المصريون وسائل الإعلان والنشر على الألواح الحجرية التي كانوا يحتفظون بها في حياتهم، تسجل أعمالهم وإصلاحاتهم وفتوحاتهم وتواريخ مواقعه الحربية، ويصحبونها معهم في قبورهم كي تروي لهم وعنهم فيما بعد، ما يمكن أن يغفله التاريخ. وكانوا ينقشون الأخبار على جدران المعابد حتى يشاهدها كل أفرد الشعب الذين يتوافدون عليها للعبادة. ثم عمدوا إلى ألواح حجرية عند مدخل تلك المعابد، تتغير كلما جد جديد من حادث أو نبأ.

وعندما اتسعت رقعة الإمبراطورية المصرية، وعجزت طريقة النقش على الحجر عن أن تلبي رغبة الملوك في إيصال أخبارهم وأوامرهم إلى ولاتهم وشعوبهم التي يحكمونها، شاع استعمال الأوراق البردية في

---

[٣٢] محمود نجيب أبو الليل: الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية ص ٢.

الكتابة، وأخذت تحتل محل الأحجار في أن تكون الصحائف المسطورة، المليئة بالأخبار والحوادث. وقد سجلت هذه الحقيقة مجموعة الأوراق البردية المحفوظة في متحف اللوفر بباريس، حيث ضمت وثيقة يرجع عهدها إلى سنة ١٧٥٠ قبل الميلاد، وقت أن كان يحكم مصر تحتمس الثالث. وتدلنا هذه البردية على أنه كانت هناك جريدة رسمية تنطق بلسان حكومة مصر ويكتب فيها الوزير وخماراه عدة مقالات تبين اتجاهات الحكومة في ذلك العصر، ويتحدث فيها عن البعثات المختلفة التي توفدها الحكومة إلى أرجاء الإمبراطورية المصرية، وعن مهمة كل بعثة منها[٣٣].

وقد عثر على أوراق بردية كثيرة تشهد كلها أنه كانت لمدينة ممفيس صحيفة سياسية رسمية في ذلك العصر البعيد من عصور التاريخ. كما أن هناك ورقة تورينو البردية الشهيرة التي تقول أن المصريين لم يقتصروا على معرفة الصحف الرسمية، بل كانت لديهم صحف رأي وصحف معارضة، تناولت بالنقد تصرفات الملك رمسيس الثالث.

وكانت هناك صحف هزلية، تناولت بالنقد الشديد والتهكم المر فراعنة مصر. ونذكر من بينها صحيفة "جريدة القصر" التي كانت تقص أخبار فضائح المدينة، وتروي الشائق عن النزهات الليلية والحفلات الساخرة الماجنة، التي كان يقيمها فرعون مصر على شاطئ بحيرة موريس. وكانت حافلة بالمقالات العنيفة الساخرة التي حررت في أسلوب

[٣٣] – المصدر السابق– ص٣

تبدو في ظاهره الرغبة في الترفيه عن القراء وشخصيات المجتمع وتكمن في ثناياه وبين سطوره محاولة إثارة الشعب ضد الملك، بسبب تصرفاته ومجونه، وإبراز معارضة الأحزاب له(٣٤).

ولما وقعت مصر تحت حكم البطالسة اتبع ملوكهم طريقة الفراعنة في إذاعة الأخبار على أوراق البردي وقد عثر المنقبون على الكثير منها مكتوبًا باللغات الهيروغليفية واليونانية.

وعندما جاء العرب إلى مصر استخدموا منابر المساجد في إذاعة الأخبار وإعلام الناس. وظلت هذه الوسيلة متبعة زمنًا طويلًا، حتى في أيام الولاة العثمانيين وأمراء المماليك.

ولما أقبل الفرنسيون على مصر في سنة١٧٩٨، ابتدعوا وسيلة جديدة في إذاعة أخبارهم بين العامة، وهي وسيلة المنشورات المطبوعة. وقد كانت حدثًا جديدًا خطيرًا في وسائل الإعلام في مصر، ليس لأحد أن ينكرها أو يقلل من شأنها.

في عهد الفرنسيين:

نشأت الصحافة في مصر الحديثة على يد الفرنسيين وكان بونابرت قد أحضر معه إلى البلاد مطابع عربية ويونانية وفرنسية، كما اصطحب جمعًا من العلماء والشعراء والمستشرقين والمترجمين.

---

(٣٤) – المصدر السابق – ص٣

وأصدر أوامره بإخراج صحيفة "كوريبه دو ليجيبت" غداة استيلائه على القاهرة مباشرة، فصدر العدد الأول منها في ٢٩أغسطس سنة١٧٩٨. وكانت تحرر باللغة الفرنسية، وحافلة بأخبار مصر الداخلية في القاهرة والأقاليم، حتى يقف الفرنسيون في القاهرة على أخبار زملائهم الذين انتشروا في أقاليم مصر. كما كانت حافلة بأخبار فرنسا وسوريا وفلسطين ودول أوربا.

وكانت "لاديكاداجبسيين" صحيفة علمية لدراسة شئون مصر الاجتماعية والأدبية والاقتصادية، وهي صحيفة المجمع العلمي المصري الذي أنشأه بونابرت– وقد صدر العدد الأول منها في أول أكتوبر سنة ١٧٩٨.

ويعتبر إنشاء هاتين الصحيفتين نقطة التحول في تاريخ النشر في مصر والشرق كله. فهما أول جريدتين عرفتهما مصر الحديثة، وأول جريدتين عرفهما الشرق بأجمعه[٣٥].

وكانت(كوريبه دو ليجيبت) معرضًا لكل صنوف الأخبار وألوان الأدب، وجميل المقال، وطلي الحديث، ودقيق البحث كما كانت زاخرة بالإعلانات. وهي وأن كانت أول صحيفة صدرت في مصر، وعهدنا بكل شيء جديد ألا يكون كاملًا، إلا جمعت من أسباب الكمال الشيء الكثير. بل هي في اعتبارنا بسبب الظروف التي نشأت فيها، والهدف الذي سعت

---

[٣٥] – محمود نجيب أبو الليل – الصحافة الفرنسية منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية– ص ١٠.

من أجله، قد قامت برسالتها خير قيام. فكانت اللسان الناطق بحق للحملة الفرنسية في مصر، فأشادت بأعمالها وذكرت أخبارها. وأحاطت قراءها علمًا بكل ما يريدون معرفته، فتهافتوا عليها[٣٦]. ويكفيها فخرًا أنها كانت اللبنة الأولى في بناء صرح الصحافة في مصر. وأعانت من غير شك على تكوين رأي عام فرنسي بين الجالية الفرنسية في مصر، كان له أثره البعيد في إنشاء الصحف الفرنسية، بل والعربية في البلاد.

وأما (لاديكاداجبسيين) فكانت سجلًا حافلًا ببحوث العلماء الذين وفدوا مع بونابرت إلى مصر، وثبتا صادقًا لأوجه نشاطهم، ورفعت من مكانتهم، وأعلت من قدرهم عند مواطنيهم في فرنسا، وأكدت على مدى الدهور نجاحهم وتوفيقهم. ووطدت أقدام المجمع العلمي المصري، حتى صمد كل هذه الأجيال[٣٧].

ولما خرجت جيوش الاحتلال الفرنسي من مصر في أكتوبر سنة١٨٠١، خرجت معها عددها وآلاتها، وعتادها ومطابعها. واختفت صحيفتاها الفرنسيتان.

الصحافة الحكومية:

ظلت مصر بعد خروج الفرنسيين زمنًا ليس بالقصير دون صحافة، حتى أنشأ محمد علي "الوقائع المصرية" في ديسمبر١٨٢٨. وكانت صحيفة رسمية، وزعت على العلماء وتلاميذ المدارس وضباط الجيش

(٣٦) – المصدر السابق – ص ٤١.

(٣٧) – المصدر السابق – ص ٥٠.

والأعيان، وأرسلت إلى كريت والشام وبلاد العرب والسودان، ولم يكن يطبع منها غير ستمائة عدد، نظرًا لقلة عدد القارئين في مصر وقتذاك. وكانت مليئة بالمقالات والأخبار، حافلة بأنواع الأدب وأخبار السياسة الخارجية– وعين لتحريرها رفاعة الطهطاوي وأدهم بك مدير المدارس وكانت تحرر في أول أمرها باللغتين التركية والعربية.

وأنشئت بعد ذلك صحيفة خاصة بالجيش سميت "الجريدة العسكرية"، حفلت بأخبار تنقلات وحدات الجيش وترقيات ضباطه، وصورت أفعاله المجيدة وفتوحاته ووقائعه، وكانت تطبع في مطبعة ديوان الجهادية في أوائل عام١٨٣٣.

وقد بلغت الصحافة الرسمية مكانة كبيرة في عهد إبراهيم بن محمد علي. ولما خلفه في حكم مصر عباس الأول، أقصى معظم الخبراء المصريين والأجانب، وأقفل المدارس، وأغلق المصانع والمعامل، فأثر كل ذلك تأثيرًا كبيرًا على هذه الصحافة، فاختفت الجريدة التجارية الزراعية فجأة، ولقيت الوقائع من العنت والضيق ما اضطرها إلى الاحتجاب معظم سنين حكمه.

وكان حظ الصحافة الرسمية في عهد سعيد مثل حظها في أيام عباس، سيئًا للغاية. وتخلص من مطبعة بولاق التي كانت تطبع الوقائع آنذاك، وأنعم بها على صحيفة عبد الرحمن رشدي بك مدير الوابورات الأميرية. وبذلك تعطلت الوقائع المصرية بوقف المطبعة سنة كاملة ولم تعد إلى الصدور إلا في عهد إسماعيل، الذي أذن لرشدي بك "نشر وإعلان الوقائع الرسمية

الخاصة بالأهالي والحكومة" وأعاره بعض الموظفين الفاهمين للصحافة، فعادت إلى ازدهارها وامتلأت بالمقالات والتعليقات والأخبار.

وظل الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٨٦٥، حيث اشترى الخديوي إسماعيل المطبعة الأميرية من رشدي بك. وجدد في الوقائع، فنشرت الأخبار الكثيرة، ونقلت عن الصحف الغربية، وامتلأت بالبرقيات وأنباء التجارة والاقتصاد، وأبواب الأدب والمجتمع، وفتحت صدرها للإعلانات.

وأصدرت الحكومة في نفس السنة صحيفتين أخريين، أحداهما مجلة "يعسوب الطب" وهي أقدم الصحف الطبية في الشرق كله. وقامت المطبعة الأميرية بطبعها، وأشرف على تحريرها محمد علي باشا الحكيم كبير الأطباء المصريين. وأما الثانية فكانت الجريدة العسكرية المصرية، لنشر العلوم والفنون العسكرية إلى جانب الأنباء السياسية، وكانت تصدر شهرية.

وفي سنة ١٨٧٠ أنشأ علي مبارك باشا مجلة "روضة المدارس" وكانت تنفق عليها الحكومة. وكان الغرض من إنشائها النهوض باللغة العربية وإحياء آدابها ونشر العلوم والمعارف الحديثة. وتولى تحريرها رفاعة بك الطهطاوي، مع جمع من الأدباء والعلماء والعازفين بالفنون المختلفة وامتلأت صفحات المجلة بمختلف الموضوعات والبحوث في الأدب والاجتماع والتاريخ والفلك والرياضيات. وكانت تصدر نصف شهرية، وتوزع مجانًا على تلاميذ المدارس. وكان لها أثر كبير في دفع الطلاب إلى المطالعة والبحث، وكتابة المقطوعات الأدبية الجميلة، وقرض الشعر. كما

عنيت المجلة بشئون المعلمين وتنقلاتهم وترقياتهم.

وكانت صحف الحكومة جميعًا مدرسة للصحفيين الذين نشئوا في مصر. ومن تلاميذها رفاعة بك الطهطاوي، وعثمان جلال الذي حرر" نزهة الأفكار"، وأبو السعود محرر "وادي النيل" وأنسي أبو السعود محرر "روضة الأخبار"، والشيخ محمد عبده محرر" الوقائع" و" العروة الوثقى".

وكان لهذه الصحافة أثر كبير في مقومات النهضة العلمية الحديثة في مصر، إذ اشترك فيها رجال الأزهر والتلاميذ والموظفون والضباط والمعلمون. وتولت في جميع الظروف والمناسبات مهمة الدفاع عن الحكومة وأعمالها، وشرح سياستها ومآثرها، وهاجمت خصومها وصحفهم أشد الهجوم وأقساه.

نشأة الصحافة الأجنبية قبل العربية:

صدرت في الفترة ما بين سنة١٨٤٦ وسنة١٨٦٢ تسع صحف فرنسية. ولكنها صدرت مرات قليلة. وكانت تختفي وتعود إلى الحياة. وقد ظهرت جميعًا في مدينة الإسكندرية حيث يقيم كثرة الأجانب الذين يعملون في ميدان الصناعة والتجارة ويستقبلون السفن الداخلة إلى الميناء ويشاركون في البضائع التي تحملها السفن الخارجة منه. فتميزت هذه الصحف بالبحث في شئون التجارة ونشر أخبار البورصة والأسواق المحلية والأجنبية، وكثرت فيها الإعلانات. ولكن لم يكن لها أي دور

في الحياة المصرية كصحف لها اعتبارها في السياسة والرأي[٣٨].

ولم يكن في البلاد وقت أن ارتقى إسماعيل عرش مصر سنة ١٨٦٣ صحيفة مصرية عربية واحدة. حتى الجريدة الرسمية وهي الوقائع المصرية، كانت محتجبة عن الظهور كما قلنا، وظلت محتجبة بعد إنعام سعيد عبد الرحمن رشدي بمطبعة بولاق.

وفي نفس العام– عام١٨٦٣– أنشأ المسيو "أنطون موريس" جريدة "ليجيبت" في الإسكندرية وبدأت تعارض إسماعيل أشد المعارضة، وتقاومه في أفكاره وتسفه مشروعاته، وتنبه الأجانب إلى سوء نياته نحوهم[٣٩]. ولما اشتدت هجمات "ليجيبت" على إسماعيل وأصبحت لا تطاق، اشترى إسماعيل مطبعة بولاق من جديد، حتى يستطيع أن يشرف إشرافًا تامًا على صحيفة الوقائع العربية وسياستها، ويجعل منها ناطقًا بأعمال الحكومة واتجاهاتها. وصدر العدد الأول منها في عهد إسماعيل في٢٥ نوفمبر سنة١٨٦٥ وفي مقاله الافتتاحي أن من أوجب واجباتها الرد على جريدة "ليجيبت" التي تصدر في الإسكندرية فيما تذيعه من افتراءات.

وظلت"ليجيبت" تجول وتصول وحدها في الميدان الصحفي، وظلت الوقائع قاصرة عن أن تنازلها على الرغم مما بذلت من جهد في هذا السبيل.

وفي عام ١٨٦٦ أنشأ المسيونيكوللو جريدة "لونيل" في الإسكندرية

---

(٣٨) محمود نجيب أبو الليل – الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية ص ٦٦.

(٣٩)المصدر السابق – ص ٧٢.

أيضًا، نصف أسبوعية، في يومي الخميس والأحد. وبدأت حياتها تجارية، تهتم بحركة الأسواق، والسفن الداخلة والخارجة في الميناء، وأسعار البضائع. ثم أخذت تعالج أمور السياسة ولكن في غير عنف.

وقد عز على إسماعيل أن يرى الصحف الأجنبية تنشأ وتنتشر في بلاده، وتهاجمه حينًا، وتهادنه أحيانًا، فيضطر إلى إرضائها وشراء ضمائر أصحابها. كما عز عليه أن يرى لسانه وهو "الوقائع المصرية" عاجزًا عن الدفاع عنه، أو على الأقل ليست ندا يستطيع أن يصمد في النضال والحجة. لذلك كله أوحى إلى عبد الله أبو السعود أن يصدر باللغة العربية في سنة١٨٦٧ مجلة "وادي النيل" سياسية علمية أدبية. وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، كي تخدم الخديوي بإخلاص، وتحقق سياسته في الاعتدال[٤٠].

وهنا يقرر الدكتور أبو الليل أنه لولا جريدة "ليجيبت" لتأخر إسماعيل في بعث "الوقائع المصرية" من جديد، ولولا توالي صدور الصحف الفرنسية في مصر، ما فكر في أن يوحي إلى أبو السعود أن يصدر جريدته. فللصحافة الفرنسية الفضل الكبير في اهتمام إسماعيل بالصحافة – وفي اهتمام المواطنين بإصدار الصحف العربية –. وكانت هذه الصحف الفرنسية نورًا يهتدي بهديه كل مقدم على إنشاء صحيفة عربية في التحرير والتبويب، والمواد التي يطرقها، والأمور التي يعالجها. وهي التي جعلت الصحف العربية تطفر الطفرة التي رأيناها في القرن

---

[٤٠] – إبراهيم عبده – تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ – ١٩٥١)– ص٦٣.

التاسع عشر، نحو الكمال والنضوج[٤١].

وفي سنة ١٨٦٧ صدرت في بورسعيد صحيفة فرنسية أخرى هي" لوجورنال دو كانال". وكان الغرض من إصدارها الدفاع عن مشروع المسيوديليسبس، ضد الهجمات العدائية التي كانت تشنها عليه الصحف الإنجليزية، وكان يديرها شاب ناشئ، اتخذ لقب (الأب مول). وقد صمد لمنافسي ديليسبس العديدين، وغالبيتهم من الإنجليز، وكان يخرج دائمًا منتصرًا من كل المجادلات. وذاع صيت هذه الجريدة، حتى انتشرت وقرئت في العالم أجمع[٤٢].

وقد حفلت سنة ١٨٦٨ بفيض من الصحف الأجنبية، أنشئت في الإسكندرية والقاهرة. وقد بلغ عددها سبعًا. ومنها زعيمة الصحف في ذلك الوقت وهي صحيفة "لوبرو جريه اجبسيان"، حاملة لواء المعارضة لإسماعيل.

الصحافة الشعبية:

كانت صحيفة "وادي النيل" لصاحبها عبد الله أبو السعود أول صحيفة شعبية ظهرت في مصر، ولو أن محررها كان موظفًا في الحكومة. وقد امتلأت صفحاتها بأخبار الحكومة ورجالها، وبالبحوث الأدبية

---

[٤١] – محمود نجيب أبو الليل – الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية ص ٧٥.

[٤٢]–المصدر السابق – ص ٧٥.

والتاريخية والاجتماعية. وفي سنة ١٨٦٩ أنشأ إبراهيم المويلحي وعثمان جلال مجلة "نزهة الأفكار" صحيفة سياسية أسبوعية. وكانت مليئة بالجديد في الآراء والمعاني. ولكن الخديوي أمر بمصادرتها بعد صدور العدد الثاني منها بسبب ما تضمنته من آراء حرة لم يكن يحتملها.

وفي سنة ١٨٧٥ أصدر محمد أنسي بن عبد الله أبو السعود جريدة (روضة الأخبار) في القاهرة، على أن تنشر ثلاث مرات في الأسبوع، على نمط الجريدة الرسمية. وقد تخصصت في السياسة والعلم والأدب والزراعة والتجارة، وكان إسماعيل يعينها بالمال، ويأذن لها بنقل أخبارها من الوقائع المصرية.

وفي نفس العام ظهرت صحيفة "الأهرام" في الإسكندرية لصاحبها سليم تقلا. واشتملت على التلغرافات والمواد التجارية والعلمية، واللغوية، والطبية، والرياضيات والبحوث التاريخية، والفكاهات والشعر والقصص.

وقد كفت صحيفة (وادي النيل) عن الصدور لافتقارها إلى فنون الصحافة، في الوقت التي ظهرت فيه صحف قليلة الأهمية مثل (شعاع الكواكب) لسليم حموي في سنة١٨٧٦، التي أغلقت بأمر الحكومة وأصدرت الأهرام في٩ سبتمبر١٨٧٦ صحيفة (صدى الأهرام) وهي تشبه الأهرام من حيث الموضوع إلا أنها أصغر منها حجمًا.

وبالجملة كانت الصحافة الشعبية في أول أمرها مماثلة للصحافة الرسمية المعاصرة لها من حيث الشكل والمواد التي تناولتها. فكانت

تعني بالأخبار التافهة وتملأ صفحاتها بما تنقله عن الكتب القديمة، وبأخبار الحكومة ودواوينها. وذلك لأن ما يباح نشره من المسائل السياسية الهامة كان يستوجب رقابة الحكومة ويخضع لوحيها، ولم تكن حالة مصر الاجتماعية والسياسية حتى سنة١٨٧٦ تسمح بأكثر من هذه الصحف وأهمها صحيفة (الأهرام) [٤٣] وكانت الصحف الشعبية تفتقر حتى ذلك الحين إلى أهم عناصر مقوماتها وهو النقد والتوجيه والمعارضة إذا لزم الأمر.

ولما قامت الحرب التركية الروسية، اتجه معظم الناس إلى معرفة تفاصيلها ووقائعها. فأخذت الصحف الشعبية في نشر تفاصيل هذه الحرب، لتروي ظمأ قرائها، وأبرزت حوادثها بل كان من نتيجة هذه الحرب أن نشأت صحف جديدة لنشر أخبارها، ونشطت في رواية الأخبار والتعليق عليها، ومعارضة الصحف القديمة في الرأي والمذهب حول هذه الحرب.

ومن هذه الصحف جريدة (الوطن)، التي كانت تملأ صفحاتها بأنباء الحرب، وتشرح لقرائها تاريخ الروس وجغرافية بلادهم، ونشرت المقالات الضافية في أسباب الحرب، وموقف روسيا من الولايات المتحدة والدستور الذي تطلبه وعن المذاهب السياسية الجديدة التي ترفض تركيا تحقيقها. ولذلك أضحت جريدة "الوطن" سجلًا حافلًا لتاريخ هذه الحرب.

---

[٤٣] – إبراهيم عبده –تطور الصحافة المصرية (١٧٩٨ – ١٩٥١) طبعة ثالثة بالقاهرة – ص ٧٣.

وفي سنة ١٨٧٧ أنشأ أديب إسحق جريدة "مصر"، وكانت تهتم أيضًا بالحرب الروسية التركية إلا أنها كانت تميل ميلًا ظاهرًا إلى جانب سلطان تركيا.

وانتهزت "الأهرام" فرصة الحرية التي أباحتها الحكومة في نشر أخبار الحرب، فأخذت تندد بأخبار الحرب في مصر، وتدعو المصريين إلى مساعدة جرحاهم. ونشرت أعنف الأحاديث عن الظلم والظالمين وحكم الفرد وآثاره، حتى تنبهت الحكومة إلى أن هذه الأحاديث تعنيها قبل أن تعني غيرها، فوجهت إنذارًا إلى "الأهرام" بالكف عن خطتها.

وكان من نتيجة هذه الحرب الروسية التركية أن عرفت الصحف طعم الحرية، فسارت في طريق التطور بخطوات سريعة، وعالجت أمور السياسة بعد أن كانت محرومة منها. وكتبت صحيفة "الوطن" المقالات عن طمع الدول الأوربية في مصر وخاصة انجلترا، وحملت حملات عنيفة على الحكومة الإنجليزية، وأشارت إلى النيات السيئة التي تنويها انجلترا لمصر، فإن الصحف الإنجليزية دعت خلال الحرب إلى احتلال مصر، حتى تحول القوات البريطانية دون تغلغل روسيا إلى قناة السويس.

وكان لوجود جمال الدين الأفغاني في مصر قبيل الحرب وفي أثنائها، أثر كبير في وجود فيض من الأفكار الحرة، وتتلمذ عليه الكثيرون من طلاب العلم، ونفث فيهم من روحه الحرة وآرائه التقدمية، ما كان له أثر كبير في إيقاظ الوعي بين المصريين. وكان لجمال الدين الأفغاني الفضل الكبير في أن أوحي إلى يعقوب بن صنوع الصحفي المصري

الثائر، بإصدار مجلة "أبو نظارة"، أقدم الصحف الساخرة المصورة في الشرق. وهو الذي اقترح على أديب إسحق إنشاء جريدة "مصر". وتوسط لصاحب جريدة (مرآة الشرق) في إصدار صحيفة. وكان إلى جانب تشجيعه للصحافة، وتوسطه لدى الحكومة في إصدارها يكتب فيها المقالات عن الحكومات الشرقية وأنواعها. وكان عنيفًا في كتاباته عن الإنجليز، حتى أن صحفهم كانت تنشر ترجمتها في صدر صفحاتها.

وبعد أن أطبق الأجانب على مالية البلاد، وانتهى الأمر بإنشاء مجلس النظار لأول مرة في تاريخ مصر برياسة نوبار، ودخول وزيرين أجنبيين فيه أحدهما إنجليزي للمالية، والثاني فرنسي للأشغال، انتهزت الصحف تعيين الوزارة الجديدة، وأخذت تشرح مساوئ العهد القديم في تقرير الضرائب بغير حساب، وفي إثراء الموظفين على حساب الفلاح الجائع المسكين، والموظف الذي لم يكن يقبض راتبه إلا لمامًا. ولما بدأت الوزارة في تعيين الأجانب في وظائف الحكومة هاجمتها الصحف، ومن بينها جريدة "التجارة" التي قالت "إن حرمان المصريين حقهم في الوظائف بربرية أوربية لا يجوز السكوت عليها لأن القوم نازعونا الأرض المجبولة بدماء آبائنا، وأصبحوا أمراء في بلادنا".

وتطورت هذه الحرية شيئًا فشيئًا، حتى أخذت الصحف تتحدث في المسائل الدقيقة والمشاكل السياسية، ونادت بوجوب وجود هيئة برلمانية تكون الوزارة المختلطة مسئولة أمامها مسئولية مباشرة. ونجحت في أن دعت الحكومة مجلس شورى النواب إلى الانعقاد. وعندئذ امتدحت

الصحافة هذه الخطوة وأملت أن يضرب المجلس المثل على حيويته. ولما انعقد المجلس في ٢ يناير سنة١٨٧٩، شملت الصحف موجة من الجرأة، وأصبحت تعارض الحكومة في شدة لم تكن معهودة، وامتلأت صفحاتها بالحملات على الوزير ولسن، واندفعت في تشجيع المجلس حتى يدافع أعضاؤه عن مصالح المواطنين. وأخذت تعالج المشاكل المصرية غير عابئة بما وجهته إليها الحكومة من إنذار وتعطيل مؤقت، وتحدثت عن مساوئ رجال البلاط الخديوي، والوزارة النوبارية، وهاجمت الأجانب وطالبت بفرض الضرائب عليهم.

وظلت الصحف تناهض الوزارة النوبارية حتى استقالت، وتقاوم بعدها وزارة توفيق حتى ولت. وأعلنت ابتهاجها بتعيين شريف رئيسًا للنظارة، ونددت بما عمله الوزيران الأجنبيان، ورحبت بالموافقة على اللائحة الوطنية، وخاصمت الصحف الأجنبية المحلية التي كانت تؤيد الحكومة السابقة.

وفي هذه الأثناء كانت "الأهرام" تحمل على الخديوي وسياسته حملات عنيفة، أدت إلى أن أصدرت الحكومة أمرًا بإقفالها، ولكنها عادت فأذنت لها بالصدور. وقد دافعت الصحف جميعًا مؤيدة ومعارضة عن "الأهرام" واستنكرت تصرف الحكومة في إغلاقها. أصيب جو الصحافة بكثير من الاضطراب الذي صاحب نهاية عصر إسماعيل وكانت "الوطن" تلك الصحيفة الوطنية، تدعو بكل أسف إلى صرف الجيش لخدمة الزراعة، مدعية أنه إذا أصيبت مصر بسوء فإن انجلترا وفرنسا ستحميانها، وملأت صفحاتها بما كانت تنشره الصحف الأجنبية

في الخارج عن الوزارة الجديدة وخديوي مصر من بذيء القول وجارح العبارات حتى اضطرت الحكومة إلى أن توجه إليها إنذارًا.

وانقسمت الصحف أحزابًا وشيعًا فبعضها وطني خالص، وبعضها يؤيد الخديوي وتصرفاته، وبعضها يندد بسلوك الأجانب وتصرفهم السخيف في شئون الدولة ومرافقها. وكانت صحيفة (لاريفورم) التي تصدر بالإسكندرية خصمًا عنيفًا للخديوي وحكومته، تسف الرأي العام المصري، وتروي عنه الأخبار الكاذبة، وتشوه حركاته السياسية السليمة، فزعمت أن بعض الذوات والأعيان قد أمضى اللائحة الوطنية مقابل أربعة آلاف جنيه على سبيل الرشوة، وأن غيرهم من نواب مجلس الشورى ذهبوا إلى القنصل الإنجليزي وأكدوا له بعدهم عن هذه الحركة، وأن كثيرين من أعيان الأقاليم رفضوا التوقيع على اللائحة الوطنية، خوفًا من أن يعود إسماعيل إلى استبداده بالسلطة وانفراده بالحكم.

ووقفت صحيفة (التجارة) وحدها في الميدان تقاوم خصوم الوطن من الأجانب والمصريين؛ ومن صحف المصريين والأجانب ولم يقف إلى جانبها في هذا النضال ضد قوى الشر في البلاد غير صحيفة(مرآة الشرق) التي أخذت تعاتب الإنجليز والفرنسيين على موقفهم المعادي لمصر، وتندد بفساد"أخلاق الأمراء وولاة الأمور وجهلهم بواجباتهم، وسوء تدبيرهم واختلال إدارتهم....... لا يعرفون شرعًا، ولا يرضون قانونًا، ولا يسمعون رأيًا، ولا يقبلون نصحًا، بل تعدوا الحدود وانتهكوا المحارم، ونلموا الأعراض، وحاربوا العدل، وقاوموا الأنصاف، فطغوا

وبغوا، ونهبوا وسلبوا، وفتكوا وهتكوا حبًا في أغراضهم وكرامة لشهواتهم...... أنهم شادوا القصور وغرسوا البساتين، واقتنوا الحور والولدان، وتأنقوا في المأكل وتفننوا في المشارب، وزينوا الملابس.....وأفراد الرعية على مرأى منهم حفاة عراة، يتضورون جوعًا، ويتلظون ظمًأ ويموتون بردًا."

ولما عزل الخديوي إسماعيل، هبت صحيفة (الوطن) تحمد الله على عزله ونفيه من البلاد. ثم كتبت تقول "أن الله أجلى على الأمة الظلم والظلمة والغمة، فشكرًا لله على تأديبه لعباده ثم لطفه بهم وإزاحة الكروب عن قلوبهم".

وشغلت الصحف بالشئون السياسية، والمسائل القانونية والمشاكل الدستورية، والأبحاث الاقتصادية، ولم تهمل الحديث عن الشئون الداخلية. وكانت في الحقيقة تسير على نهج الصحف الأجنبية في مصر.

الصحافة خلال الثورة العرابية

شيعت الصحافة الأجنبية والعربية في عصر إسماعيل أسوأ تشييع، ونددت بعهده وبتصرفاته، وحمدت الله وامتنت له زوال الغمة عن كاهل البلاد، وكانت معذورة جميعًا كل العذر في أن تستقبل ولد أحسن استقبال، نظرًا لما لاقت من كثير العنت وفظيع التضييق مما جعلها تستجير بهذه الأفعى الجديدة في حكم البلاد، ظنًا منها أنه ربما كان أحسن من أبيه.

ولكن هذا الخديوي كان مدينًا بعرشه إلى الأجانب ممثلين في انجلترا وفرنسا وقنصليهما في مصر، فبادر بعد توليه الحكم بإلغاء مجلس النظار، وإعادة الرقابة الثنائية، وتقييد حرية الفكر، وطرد الأفغاني من مصر بإيعاز من قنصل انجلترا، وأمر الصحف جميعًا بنشر نبأ هذا الطرد، فأذعنت كلها ما عدا صحيفة "مرآة الشرق" التي أخذت تكيل له المديح حتى صدر الأمر بتعطيلها خمسة أشهر، ثم عاد فأحيا مجلس النظار وعهد بالرياسة إلى رياض باشا، الذي لاقت الصحافة في عهده ما لاقت من اضطهاد وإرهاب. وكانت جريدة "مصر الفتاة" وهي لسان حزب مسمى باسمها ظهر سرًا في البلاد، أول الصحف التي استهدفت لسخط رياض وإجراءاته التعسفية فأنذرتها الحكومة ثم عطلتها تعطيلًا نهائيًا. وامتدت يد البطش بالصحفي أديب إسحق لحملاته الشديدة على الأجانب وعلى الرقيبين الأجنبيين وعلى الحكومة وتوالت على صحيفتي "مصر" و"التجارة" الإنذارات وانتهى الأمر بتعطيلهما تعطيلًا نهائيًا.

ولما طالبت جريدة "المحروسة" بفرض الضرائب على الأجانب في مصر، وتحدثت عنهم حديثًا لا يسر الحكومة راحت تنذرها وتعطلها تعطيلًا مؤقتًا ثم تعطيلًا نهائيًا. ولم تنج الصحف الأجنبية في البلاد من قسوة الحكومة وبطشها. فعطلت صحيفة "لاريفورم" وصحيفة "لوفاردالكسندري" وحظرت دخول صحف "النحلة"، "أبو نظارة"، و"أبو صنارة"، "القاهرة" و"الشرق" إلى مصر.

والواقع أن خطة رياض في الحكم وتصرفاته إزاء الصحافة، كانت من أهم

الأسباب في غليان النفوس واضطراب الأفكار، مما أدى إلى بداية الثورة العرابية، إذ إنه من شأن الأقلام التي تتكسر، والأفواه التي تكتم، والنفوس التي تكبت، أن تفكر في مخرج لها، وليس هناك مخرج طبيعي غير الثورة.

وقد ظهرت بوادرها في منشور كتبه الساخطون على مساوئ حكم الخديوي، والناقمون على أسلوب رياض، طبعت منه عشرون ألف نسخة وزعت على الناس. ولم تعرف لها الحكومة كاتبًا أو طابعًا أو ناشرًا وتلا ذلك شكوى الضباط من انفراد الترك بالرتب الكبيرة في الجيش ومن تفصيل مجلس شورى النواب، ثم شكوى الناس من ضيق العيش وقداحة الضرائب. وقام الضباط بثورتهم العسكرية المعروفة لإسقاط حكومة رياض والمطالبة بحكومة دستورية. وفعلًا سقطت الحكومة، وعاد شريف إلى رياستها، وعندئذ علت أسهم رجال الجيش بين الوطنيين، ولمع زعيمهم أحمد عرابي.

وكان من البديهي أن تستقبل الصحافة المصرية وزارة شريف استقبالًا طيبًا. غير أن الحكومة، رغبة منها في تهدئة الحالة بعد انتصار الجيش، عزمت على إغلاق الصحف المتطرفة، وأبت على الصحف الأجنبية أن تسيء إلى المصريين ومشاعرهم الدينية، وبدأت الصحف تتحدث عن ظلم نظام الضرائب وإعفاء الأوربيين من أدائها، وتعيين الفرنسيين والإنجليز في الوظائف، وأخذت تطالب بإعادة الحياة الدستورية إلى البلاد، والتوسع في التعليم. ومن الصحف البارزة في أوائل الثورة صحيفة "المفيد" التي ملأت أعمدتها بالمقالات الشائقة الثمينة عن مصر

ومشاكلها، في أسلوب كله وطنية وعنف، فأصدرت الحكومة أمرها بتعطيلها أسبوعين. ولم تتوان صحيفة"الأهرام " عن الاشتراك فيما كان يشغل بال العامة والخاصة من الناس. ولكنها في ذلك الوقت لم تكن متطرفة في رأيها بل كانت هينة لينة، حريصة على أن تملأ انهرها بالحوادث الخارجية وآراء الغربيين في الشئون المصرية.

وفي مقابل ذلك أوعز الخديوي إلى أحد عملائه بإنشاء مجلة أسبوعية في الإسكندرية في سنة١٨٨١ سماها"البرهان" وتولى تحريرها الشيخ فتح الله، وأعلنت هذه الصحيفة بكل فخار أنها لسان السراي، ومحل القبول عند الأعتاب الخديوية العالية.

ومضت هذه الصحيفة تؤيد الخديوي كل التأييد وتعارض الشورى كل المعارضة، ولكنها فشلت في حطتها كل الفشل إذ انتهى الأمر بافتتاح مجلس نواب من جديد في آخر ديسمبر سنة١٨٨١.

وإذا كانت الصحف على اختلاف نزعاتها واتجاهاتها تطالب البلاد بالحكم السديد، وإقامة الشورى والتخفيف من عبء الضرائب، ورفع الظلم عن كاهل المحكومين، فأنها تطالب لنفسها بقانون للمطبوعات ينظم أمورها. ونجحت الصحف في هذه المطالبة إذ صدر قانون المطبوعات المصري في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨١ وهو أول قانون للصحافة نظم أمورها ورتب شئونها وحدد واجباتها وأعلن حقوقها.

ولما تألفت في البلاد الحكومة العسكرية برياسة محمود سامي

البارودي باشا كانت الصحف جميعًا قد شغلت أعمدتها بالمواقف الوطنية والحركات الحرة. وأخذت تدافع عن مصالح مصر ضد الصحف الأجنبية في البلاد وخارجها، وتحمل في عنف على المتمصرين من الصحفيين وغيرهم من الموظفين في الحكومة. ومن بين هذه الصحف صحيفة "المفيد" التي كانت لسانًا لرجال الثورة العرابية، وأصبحت في سنة١٨٨٢ تمثل العناصر السياسية والمذاهب السياسية، وتتحدث عن ذل المصريين وتعاسة الفلاحين. وتندد بسيطرة أهل الشام على الصحافة في مصر، حتى اضطر صاحب "الأهرام" إلى الهجرة من البلاد وكذلك صاحب صحيفة"الأحوال ".

وقد نفذت الثورة العرابية قانون المطبوعات ١٨٨١ على نطاق واسع، حتى لم يبق في البلاد غير الصحف التي كانت تحمل على الخديوي توفيق وأسرته. وظهرت على أنقاض صحف الشاميين "الطائف" التي كان يحررها خطيب الثورة عبد الله النديم. وكانت مهمة هذه الصحف الدفاع عن الثورة ورجالها. وسارت صحيفة "الطائف" في مهاجمة الأسرة الخديوية، وحملت حملات عنيفة على الخديوي توفيق، حتى اضطرت الحكومة إلى تعطيلها في ١٧ مايو عام١٨٨٢ إرضاء للخديوي.

ثم تعقدت الأمور وطالبت انجلترا وفرنسا باستقالة وزارة البارودي وإبعاد عرابي وأصحابه عن مصر وإعادة السلطة الكاملة إلى الخديوي توفيق، وتألفت وزارة راغب ودخل فيها عرابي وزيرًا للحربية. ولكن الحوادث تطورت تطورًا عنيفًا وتم احتلال مصر والقبض على العرابيين

وانضم الخديوي إلى الإنجليز وأصبحت في مصر صحيفتان، صحافة الحزب الثوري في القاهرة وصحافة الخديوي والناقمين على الثورة العرابية في الإسكندرية. وانتقلت صحيفة "الطائف " إلى الميدان الحربي بجوار المجاهدين والمحاربين تنشر المقالات الضافية لتقوية الروح المعنوية والطعن في الخديوي وانجلترا. وخضعت الصحف جميعًا لرقابة الحكومة العرابية، حتى توقفت عن الصدور بعد سقوط القاهرة في يد الإنجليز.

الصحافة أيام الاحتلال البريطاني

قام اللورد دو فرين سفير انجلترا في الأستانة بتنظيم مصر من جديد بعد القضاء على الثورة العرابية، وترك أمور الصحافة على هواها، ولم يلجأ إلى قانون سنة١٨٨١ وذلك لأن الصحافة أصبحت عديمة الأثر، قليلة الخطر، بعد أن سيطر جيش الاحتلال البريطاني على كل ما في البلاد من قوى، كما أنه كان في قانون العقوبات ما يكفي لردع أي صحفي تسول له نفسه الخروج عن الحدود التي رسمها رجال الاحتلال البريطاني. وفوق ذلك فإن الحكومة المصرية كانت تعمل دائمًا على إرضاء الإنجليز بإسكات كل الصحف التي كانت تناوئ الاحتلال.

غير أن الصحف الفرنسية كانت للاحتلال بالمرصاد، تسندها في نضالها الامتيازات الأجنبية، كما لجأت بعض الصحف العربية إلى القنصليات الأجنبية لتحتمي في امتيازاتها من القوانين المصرية. فرأينا (الأهرام) تهاجم الاحتلال في عنف، وتحمل على الحكومة حملات صادقة لأخطائها في جملة السودان. وكانت سياستها عثمانية مصرية.

ولم يمنع هذا الإجراء من جانب الصحف الحكومة من أن تتشدد في التضييق عليها، فعطلت (الأهرام) شهرًا في سنة ١٨٨٤، ومنعت جريدة "العروة الوثقى" من الدخول إلى مصر وأصدرت قرارًا بإلغاء صحيفة "الوطن ".

وأغلقت صحيفة "مرآة الشرق "وألغيت "الزمان" في سنة١٨٨٦ وعطلت الصحيفة الفرنسية "لوبرسفوراجبسيان". ولكن الحكومة سرعان ما تراجعت في قرارها مهزومة وعادة الصحيفة الفرنسية إلى الصدور من جديد، بعد أن ثارت القنصلية الفرنسية في مصر لهذا الإجراء. واشتد ساعد (الأهرام) فأفسحت صدرها لمقالات الزعيم مصطفى كامل.

وكانت هناك صحيفة تعمل لحساب الإنجليز والاحتلال وهي صحيفة "المقطم" التي أوعز اللورد كرومر إلى أصحابها بإصدارها.

وفي سنة ١٨٨٩ ظهرت صحيفة "المؤيد" لصاحبها الشيخ علي يوسف وأصبحت ميدانًا للأقلام الوطنية الثائرة، وقد كتب فيها مصطفى كامل. وكانت تعالج الموضوعات المصرية والإسلامية، وتنشر المقالات ضد الاستعمار بمختلف ألوانه. وانتشرت وذاع صيتها في بلاد الشرق. ولهذا حاربتها الصحف الموالية لإنجلترا واتهمتها صحف الأجانب بالتعصب، وناصرت "المؤيد " في خطتها صحيفة "الأستاذ" الأسبوعية، التي أصدرها السيد عبد الله النديم في أغسطس من عام١٨٩٢. ولكنها كانت قوية في خصومتها للاحتلال، حتى أمر اللورد كرومر بإغلاقها، ونفى صاحبها عن مصر.

ولما قام الفرنسيون باحتلال "فاشودة" في جنوب السودان وهي من أملاك مصر، ظهرت بوادر أزمة عنيفة بين انجلترا وفرنسا. وانطلقت الصحف المصرية تعدد مساوئ الاحتلال البريطاني وتحمل عليه حملات عنيفة. ولما انتهى الحادث بجلاء الفرنسيين عن فاشودة وتسليمها إلى انجلترا، وبدأ الإنجليز في معاملة المصريين وأصحاب الصحف منهم خاصة بمنتهى القسوة أخذ الصحفيون – بعد أن أصيبوا بخيبة الأمل في نصرة الفرنسيين – يبثون فكرة الاعتماد على الجهود المصرية في محاولة إخراج الإنجليز من البلاد. وكان مصطفى كامل زعيم الدعة إلى هذا الرأي بعد أن رأى الفرنسيين ينسحبون من فاشودة، وكان يظن أن انسحابهم منها سيقابله انسحاب الإنجليز من مصر.

وعلا نجم مصطفى كامل، واشتد ساعد الصحف بدورها في الدفاع عن الأماني الوطنية وأصدر الزعيم المصري في سنة١٩٠٠ صحيفة "اللواء". وكانت صحيفة كاملة من حيث تحريرها وإدارتها. واستخدمت المطبعة الكهربائية الحديثة في طبع صفحاتها وسارت في تقدمها سريعًا واهتمت بشئون العلم والصناعة والتجارة والأدب. وكان لها أثر كبير في بعث الوعي القومي، والمطالبة بالحرية والدستور.

وعندما عقد الاتفاق الودي بين فرنسا في سنة ١٩٠٤ أصيبت الصحف المصرية بصدمة عنيفة جعلتها تغير اتجاهها. فهبطت حماسة "المؤيد" وفترت قوة"الأهرام" ولم يبق على سياسته القديمة غير اللواء التي اندفعت تدب الحماسة في نفوس المصريين، منددة بخيانة فرنسا للأماني

الوطنية. وغيرت المؤيد خطتها في النهاية، وأصبحت تدافع عن الاحتلال.

ولما وقعت حادثة دنشواي في سنة ١٩٠٦، اندفعت الصحف مرة أخرى تحمل على لورد كرومر وسياسته في مصر، وأنشأ الزعيم مصطفى كامل جريدتين أوربيتين تزاملان "اللواء" العربية وانتهى الأمر بعزل كرومر في أبريل سنة١٩٠٧، وكان يحررها أحمد لطفي السيد وكانت لسان حال حزب الأمة، وتدعو إلى تحقيق الأماني الوطنية بالاتفاق بين الاحتلال والمصريين دون تدخل تركيا.

وبعد أن تولى "الدون جورست" أمور الاحتلال البريطاني في مصر، هادن الخديوي، حتى جعله يقبض يده عن مساعدة الصحافة الوطنية. وأخذ جورست في معاداة فكرة الدستور، ولكن الصحف الوطنية ساهمت بنصيبها في الترويج لهذه الحركة. واشتدت لهجة "اللواء " حدة بعد أن تولى رياسة تحريره الشيخ عبد العزيز جاويش عقب وفاة مصطفى كامل في سنة١٩٠٨. واضطرت الحكومة إلى العودة للعمل بأحكام قانون المطبوعات في مارس سنة١٩٠٩.

وتطورت سياسة الحكومة نحو العنف الشديد بعد مقتل رئيس الوزراء بطرس غالي في سنة١٩١٠، وقضت على صحيفة "اللواء". وظهرت بكل أسف في الصحف المصرية نعرة الخلاف بين المسلمين والأقباط، وأضحت المسألة الوطنية مسألة ثانوية بالنسبة لهذا الفتنة الجديدة. ولما هدأت هذه العاصفة المؤلمة، عادت الصحف إلى خلافاتها القديمة من حيث الفكرة والرأي. فكانت "العلم" لسان حال الحزب الوطني وكانت "المؤيد" لسان

حال حزب الإصلاح وهو حزب القصر، والجريدة لسان حال حزب الأمة.

وقد عطلت الحكومة جريدة "العلم" في نوفمبر سنة١٩١٢ وأصبحت جريدة "الشعب" لسان الحزب الوطني، وتولى تحريرها أمين الرافعي. وانتهى أمر الصحافة المصرية بالعجز عن أداء مهمتها، عندما وضعت مصر تحت الحماية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى في سنة١٩١٤، وخضعت جميعًا للرقابة الصارمة.

الصحافة المصرية الحديثة

انتهت الحرب العظمى، وأعلنت الهدنة، وأخذ المصريون يطالبون بحقهم في الاستقلال. واستطاع أمين الرافعي إصدار صحيفة "الأخبار" في سنة١٩٢٠. فخرجت على الناس وسط الظلام بمقالاتها الوطنية. وعاونتها في هذا الميدان صحيفة"الأهرام". وكان لوصول لجنة ملنر إلى مصر أثر كبير في إطلاق حرية الصحافة، حتى تقف اللجنة على الاتجاهات الصحيحة للبلاد. وصدرت صحيفة "الاستقلال" للدكتور محمود عزمي في سنة١٩٢١، وكان يحرر فيها الدكتور طه حسين.

وتألف حزب" الوفد المصري" برياسة سعد زغلول، ونشأ حزب "الأحرار الدستوريين" في سنة١٩٢٢، وتولى رياسة تحريرها الدكتور محمد حسين هيكل. وعندما صدر تصريح فبراير١٩٢٢، عنيت الصحف جميعًا يبحث المسائل الدستورية وتقدها. ومن أهم صحف الوفد في ذلك الوقت "البلاغ " لصاحبها عبد القادر حمزة التي صدرت في سنة١٩٢٣. وكان من كتابها عباس محمود العقاد، ثم ظهرت

جريدة"كوكب الشرق" الوفدية في سبتمبر ١٩٢٤ لصاحبها أحمد حافظ عوض، وفي ١٩٢٥ صدرت مجلة" روز اليوسف" الأسبوعية.

وعندما تألف حزب الاتحاد أنشأ صحيفة له، كانت خاملة غير ذات أثر. وكذلك أنشأ حزب الشعب في سنة١٩٣٠ صحيفة "الشعب" وكانت مثل وصيفتها "الاتحاد" في عدم الذيوع والانتشار.

وكانت الصحف المصرية بعد الدستور تحظى بحريتها حينًا، وتتعرض للاضطهاد والمحن أحيانًا أخرى. وصدرت جريدة" الجهاد" لمحمد توفيق دياب، لسانًا من ألسنة الوفد وكذلك "روز اليوسف اليومية"، ثم اتفق محمود أبو الفتح ومحمد التابعي وكريم ثابت على إخراج صحيفة المصري، التي انفرد بها محمود أبو الفتح بعد سنة١٩٣٨، وأصبحت لسانًا لحزب " الوفد المصري"، وفي سنة١٩٤٧ صدرت جريدة" الأساس " لسانًا للهيئة السعدية وفي نفس السنة صدرت جريدة (الزمان).

والحقيقة أن ميدان الصحف المصرية شهد في السنوات الأخيرة ألوانًا من الصحف والمجلات المبتكرة في إخراجها وتحريرها ومن هذه الصحف" أخبار اليوم وآخر ساعة وآخر لحظة" وكان" لأخبار اليوم" أثر كبير في الصحف التي نشأت بعدها إذ عمدت إلى تقليدها في إخراجها الأبواب التي اشتملت عليها. وامتازت" الأهرام " بتقليدها الدقيق في التنسيق، حتى أصبحت هي الأخرى مثلًا يحتذي به.

وكان للصحافة المصرية الحديثة أثر لا ينكر في إحياء الأدب العربي

القديم، واهتمت اهتمامًا كبيرًا بالبحوث العلمية والفنية والأدبية، وطرقت كل ألوان الكتاب، وعالجت كل شئون الحياة وجاء وقت كانت فيه صحف القاهرة وحدها، يزيد عددها على المائتي صحيفة ومجلة عربية، والستين صحيفة أجنبية.

وهناك صحف أخرى ساهمت مساهمة فعالة في الحياة المصرية الأدبية والاجتماعية مثل صحف دار الهلال، ومن أهمها" المصور والهلال والاثنين".

وزخرت البلاد بالصحف النسائية، التي كان لها دور فعال في نهضة المرأة، ومنها"فتاة الشرق " للسيدة لبيبة هاشم و"حواء الجديدة" لصاحبتها زوز حداد" المصرية" لهدى شعراوي، و"بنت النيل" للدكتورة درية شفيق.

الصحافة بعد الثورة

وكان لثورة٢٣ يوليو١٩٥٢ برنامج إصلاحي للصحافة المصرية، ففي يونيه ١٩٥٢ صدرت جريدة(الأخبار) الصباحية عن دار أخبار اليوم. ولم يكد ينصرم هذا العام حتى كانت جريدتا(المقطم والبلاغ) المسائيتان و(الأساس) الصباحية قد أغلقت أبوابها بسبب سوء أحوالها المالية.

وفي سنة ١٩٥٣ آلت إلى محمود أبو الفتح ملكيو شركة الإعلانات الشرقية التي كانت تصدر صحف

(The Egyptian Gazette, Egyptian Mail, Sphinx, Le progress Egyptian & La Bourse Egyptienne.)

وغيرها من المجلات التي تعالج الموضوعات المالية والاقتصادية وفي نفس السنة اختفت جريدة" الزمان" وصدرت جريدة (القاهرة) المسائية و(الجمهورية) الصباحية. وفي سنة ١٩٥٤ اختفت (المصري) وفي سنة١٩٥٦ صدرت جريدة (الشعب) الصباحية و(المساء) المسائية.

وجدير بالذكر أنه صدر في عام١٩٥٥ قانون جديد بتنظيم نقابة الصحفيين.

الفهرس